للتوزيع المجاني | غير مخصصة للبيع

الجنوب

العدد 02 - حزيران 2008

مجلة اليونيفيل

عدد خاص

ثلاثون سنة من اليونيفيل

عناصر من قوات حفظ السلام يرفعون علم الامم المتحدة في الناقورة 15 حزيران 1978

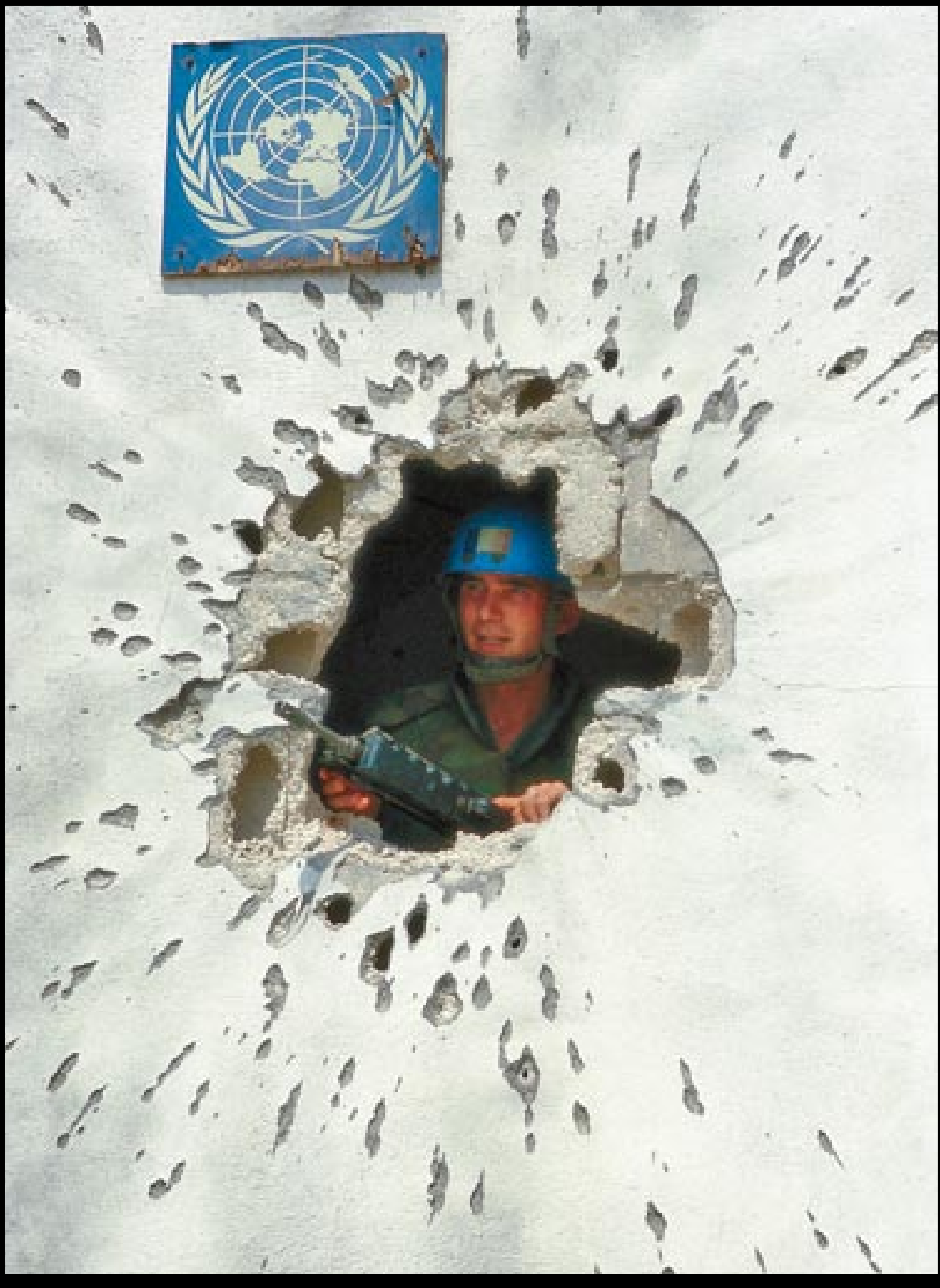

المحتويات

في الصمود فضيلة — 04
جان ماري غينو

ولادة اليونيفيل — 06
السير براين اوركهارت

القرار 425، اهم انجازاتي — 08
غسان تويني

خواطر بقلم اوّل قائد لقوات اليونيفيل — 10
اللواء ايمانويل أ. ارسكين

الواقعي والاستراتيجي — 12
الجنرال فكتور خوري

بحثاً عن الجندي المفقود — 14
نيراج سينغ

من ذاكرة الصور — 16
ثلاثون عاماً

قصة حسن سقلاوي — 22
آري غايتانيس واندريا تيننتي

نظرة داخلية لليونيفيل — 24
يواكيم هويتر

قوات حفظ السلام واللبنانيون، شعب واحد — 26
تيمور غوكسل

كثيرة كوارث الدنيا، وكذلك أشكال النجدة — 28
حسن سقلاوي

خبرتي مع اليونيفيل — 29
العميد ماهر طفيلي

تحديد الخط الأزرق — 30
الجنرال جيم سرينان

الصمود من أجل السلام — 32
العميد جاي براكاش نهرا

واحة أمل في صحراء التحديات — 34
اندريا تيننتي

«الجنـــوب»
تُنشـر مـرة كـل شـهـريـن
عبر المكتب الاعلامي لليونيفيل

الناشر
ميلوش شتروغر

رئيس التحرير
نيراج سينغ

هيئة التحرير
عمر عبود
جمانة صايغ
آندريا تيننتي
روكسان بازرغان

الإخراج
رامين فرانسيس أسدي

التصميم
زينة عزالدين

مساعدة التحرير
دنيز أبو زيد

مستشار التحرير
حسن سقلاوي

المصورون

صور اليونيفيل
بنجامين هابادا
حسن سقلاوي
خورخي أرانبورو

صور الامم المتحدة
اسكندر ديبيبي
ايفان شنايدر
باولو فيلغيراس
بول فايسليدر
جون آيزاك
راين براون
مارك غارتن
ماهر عطّار
ميلتن غرانت
يوتاكا ناغاتا

تشكر مجلة «الجنوب» صحيفتي «النهار» و«السفير» على الصور التي وفرتهما لها من أرشيفهما

للاتصال بـ «الجنوب»

هاتف: +961 1 827 020
+961 1 827 068
بريد الكتروني: unifil-pio@un.org
فاكس: +961 1 827 016

يمكن إعادة طبع مقالات **«الجنوب»**، باستثناء تلك المحددة بعلامة حق المؤلف ©، من دون اذن وبشرط ارسال نسختين عن المنشور الذي يحتوي على اعادة الطباعة، الى رئيس تحرير «الجنوب».

طباعة وفرز: CHAMAS PRINTING & PUBLISHING

تنازل
لا تشير العلامات أو طرق عرض المواد في هذه المجلة الى أيّ تعبير عن رأي من آراء اليونيفيل، في ما يتعلّق بالوضع القانوني لأي بلد أو أرض أو مدينة ولأي من سلطاتها، أو في ما يتعلق برسم حدودها. ولا تمثّل بالضرورة الآراء المعروضة،سياسات اليونيفيل أو مواقفها، كما لا يشكّل ذكر الأسماء أو العمليات التجارية أيّ تسويق لها.

في الصمود فضيلة

تتأسس عادةً مهمات حفظ السلام لفترة قصيرة، لكن غالباً ما تدخل عوامل خارجية ونزاعات غير متوقعة لتصبح هي المقياس لاستمرار المهمة. مثال على هذه الإستمرارية هي قوة اليونيفيل «المؤقتة» التي تأسست منذ ثلاثين سنة، ولا تزال حتى يومنا هذا.

السيد غينو يطّلع على خريطة لمنطقة عمليات اليونيفيل خلال رحلة من بيروت الى الناقورة 29 آب 2006

بعد الإجتياح الإسرئيلي لجنوب لبنان في أوائل عام 1978، تخطى مجلس الأمن حالة التوتر والصراع المسيطرة منذ الحرب الباردة فأنشأ اليونيفيل بهدف إرسالها إلى جنوب لبنان للمحافظة على تلك الجبهة الحيوية وتجنّب انهيارها. كانت النية تحصين تلك «القلعة» بالسلام والأمن الدوليين. لكن كيف تبنى قلعة السلام وكيف تبقى صامدة بوجود المجموعات المسلحة التي لا تعترف بمهمة حفظ السلام لا بل وتعلن عن عدائيتها إزائها؟

كان السعي نحو السلام قد أصبح رغبة المجتمع الدولي بأكمله، والذي عبّر عنها من خلال الموارد المادية والبشرية التي قدمها لليونيفيل في آذار عام 1978. تمتّعت اليونيفيل بالموارد اللازمة لكن واجهت عوائق كثيرة منعتها من تنفيذ المهام التي أوكلت اليها، أهمها غياب السلام الحقيقي في معظم الأوقات. ولا ننسى شريك اليونيفيل في مهمة حفظ السلام، الدولة اللبنانية المربكة بالحرب الأهلية المشتعلة في البلاد والأزمات السياسية المتتالية والتغيرات الإقليمية المعقدة. لهذه الأسباب عجزت الدولة اللبنانية عن فرض سلطتها على جنوب لبنان في الوقت الذي كان فيه استقرار تلك المنطقة بنداً أساسياً في القرار 425 (1978) وعاملاً رئيسياً لنجاح اليونيفيل.

عجزت بالتالي اليونيفيل عن الإنتشار الكامل في المنطقة التي حددت لها. فقد توالت عقود من الإضطراب على جنوب لبنان، حيث أصبح تحت سيطرة مجموعات مسلّحة متنوعة إلى جانب سيطرة إسرائيلية عبر قواتها المسلحة بشكل مباشر أو عبر قوات تابعة لها. وانسحبت تلك الأخيرة عام 2000، لكن فشلت الجهود الدبلوماسية والسياسية في حلّ المسائل العالقة وبقي السلام الدائم هدفاً بعيداً.

حافظت قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة وسط هذا الوضع على مبدئها الحيادي وظهرت أهمية ذلك حين وقفت

◁◁

بوجه كل الإنشقاقات والإنقسامات التي اجتاحت لبنان خلال تلك الفترة. تمكنت عناصر حفظ السلام بمشاركة الجنوبيين من الصمود، لأنّ قضيتهم كانت واحدة، وكانوا يواجهون الصعاب معاً ويتغلّبون عليها. تمتّعت قوة اليونيفيل بدعم السكان بفضل تصميم جنودها على التصرف بصرامة وعدل في الأوقات الحساسة، وبفضل العلاقات الجيدة التي بنوها مع السكان، فساهم ذلك في ممارسة المدنيين نوعاً من الحياة الطبيعية. بقيت قوة اليونيفيل التي سمّيت بـ«المؤقتة»، وتعايشت مع سكان جنوب لبنان.

صحيح أنّ السلام لم يتحقق، لكنّ اليونيفيل نجحت في التخفيف من مخاوف السكان الأمنية بفضل وجودها الميداني وخدماتها الإنسانية. ساهمت اليونيفيل في تحسين الظروف المعيشية للجنوبيين، والأهم هو أنها كانت الشاهد الحيادي الوحيد والجدير بالثقة على الأحداث التي جرت في الجنوب. راقبت اليونيفيل كافة التطورات وقدمت التقارير حولها بشكل موضوعي فشكّلت بالتالي رادعاً أمام أي محاولة لإعاثة الفساد، وكسبت احترام الطرفين المتنازعين على حد سواء.

لم تقو السنوات الصعاب على اليونيفيل، بل حافظت على موقعها ولم تستسلم للتهديد أو للهجمات المباشرة، بالرغم من سقوط 280 قتيلاً من صفوفها حتى اليوم في لبنان. دفعت اليونيفيل ثمناً غالياً في لبنان من حيث عدد الضحايا، لكن في المقابل أنقذت حياة الآلاف. إنها تستحق التقدير لصمودها بوجه العنف وسعيها لتحقيق المصلحة العامة.

ظهر التزام الأمم المتحدة بلبنان كبلد وبالشعب اللبناني من خلال قدرة اليونيفيل واستمراريتها، والمثال الأكبر على ذلك هو ما قامت به اليونيفيل خلال حرب 2006. طوال فترة النزاع، لم تهجر أياً من مواقعها ولعبت دوراً بنّاءً وفعالاً ضمن إطار مهامها رغم أنها كانت تواجه الخطر الدائم وتعيق تحركاتها الأعمال العدائية المستمرة. دعا الأمين العام للأمم المتحدة أكثر من مرة لوقف الأعمال العدائية ودعا مجلس الأمن للتصرف على الفور، مشدداً على الكوارث الإنسانية التي تتفاقم بسبب التأخير. وبقي الأمين العام خلال فترة النزاع على اتصال دائم مع رئيس وزراء كل من إسرائيل ولبنان ومع كافة الأطرف المعنية، كما أرسل إلى المنطقة عدداً من المبعوثين رفيعي المستوى.

لم يوقف الأمين العام مساعيه الدبلوماسية حتى بعد وقف الأعمال العدائية واعتماد مجلس الأمن القرار 1701 (2006). وساهمت جهوده في التأكيد على التزام بعض البلدان المشاركة بقرارها بإرسال الجنود ليكونوا جزءاً من اليونيفيل ويساعدوا في المحافظة على استقرار المنطقة. وكان لجهوده فضل في رفع الحصار البحري والجوي الذي فرضته إسرائيل على البلاد.

قدّمت الأمم المتحدة مساعدتها للحكومة اللبنانية عبر تقييم الحاجات وأعمال أخرى ملحّة. ساهمت بشكل خاص في مجال الإستجابة الإنسانية فأقامت نشاطات للإغاثة المبكرة وساعدت الذين تهجروا من منازلهم بسبب الحرب وقدّروا بمليون شخص.

صدر القرار 1701، وبموجبه توسّعت قوة اليونيفيل. إلتزمت كافة الأطراف بوقف العمليات العدائية وباحترام دور اليونيفيل وانتشارها في جنوب لبنان. أما الإلتزام الدولي باليونيفيل فتمثّل بقوتها ومعداتها المعززة كما بقواعد الإشتباك الصارمة. داخلياً، ساهم القرار الذي أجمعت عليه كافة الأطراف اللبنانية بنشر الجيش اللبناني حتى الخط الأزرق وبتعزيز سيطرة الحكومة مع بسط سلطتها على كافة الأراضي اللبنانية. نتيجة لهذه التغيرات، ساهم ظهور الجيش اللبناني على الأرض إلى جانب قوات اليونيفيل في خلق جو أمني وعسكري جديد وآمن من الناحية الاستراتيجية في منطقة عمليات اليونيفيل.

تعاونت اليونيفيل مع الجيش اللبناني فنجحت في تهدئة الوضع وضمان احترام الجميع لوقف العمليات العدائية. ونتيجة لهذه الشراكة القوية في مجال حفظ السلام، شهد جنوب لبنان خلال السنتين الأخيرتين الفترة الأكثر هدوءاً منذ إنشاء اليونيفيل. وتؤكد اليونيفيل أكثر من اي وقت مضى على دعمها للجيش اللبناني ولشعب جنوب لبنان.

لقد نصّ القرار 1701 (2006) على انتشار اليونيفيل المعزّز، لكنّ الأهم هو أنه دعا لوقف إطلاق نار دائم ولحل طويل الأمد للنزاع القائم. لا شك أنّ هذه المسائل تعتبر جزءاً من العملية السياسية لذا هي خارج نطاق مسؤولية اليونيفيل، لكن في الوقت ذاته فإنّ نجاح اليونيفيل يعتمد على الوضع السياسي. لا تشكّل عملية حفظ السلام بديلاً عن الحل السياسي، بل هي لدعم الجهود الدبلوماسية الرامية للتوصل إلى حل سياسي.

لا يمكن التوصّل إلى حل مستدام وطويل الأمد في لبنان إلا بمعالجة أسباب النزاعات المتعددة في المنطقة. وهي نزاعات بغاية الخطورة إذ يمكن لأي منها أن يتفاقم فيؤثر على المنطقة بأكملها إلا إذا تم التوصل أولاً إلى سلام عادل وشامل ومستمر للشرق الأوسط.

اليونيفيل فرصة للسلام، والفرصة وجدت لاغتنامها.

جان ماري غينو

نائب الأمين العام لعمليات حفظ السلام

ولادة اليـــونيفيـــل

السير براين اوركهارت

في أوائل السبعينات، وبعد مواجهة أيلول الأسود مع الجيش الأردني، إنتقلت حركة فتح، وهي الشعبة الرئيسية في منظمة التحرير الفلسطينية، إلى لبنان. تدهور بعدها الوضع في جنوب الليطاني وتحوّل إلى حرب عصابات ما بين جماعات مسلحة وبعض القرى في الجنوب، حيث وقفت من جهة الميليشيا المسيحية بقيادة الرائد سعد حداد والتي تأسست بدعم من إسرائيل، ومن جهة أخرى منظمة التحرير الفلسطينية وعدة مجموعات إسلامية. وكانت نية منظمة التحرير الفلسطينية واضحة بشأن استخدام جنوب لبنان كقاعدة للكرّ والفرّ، حتى أثارت ردة فعل إسرائيلية بالهجوم جواً. لذلك بادرت الأمم المتحدة عام 1972، وفي محاولة منها لمراقبة هذا الوضع المتفجر وأي خروقات لخط الهدنة الفاصل الذي كان يشكل الحدود الواقعية بين لبنان وإسرائيل، إلى إنشاء مواقع مراقبة تابعة للأمم المتحدة على امتداد الحدود.

- الأمم المتحدة -

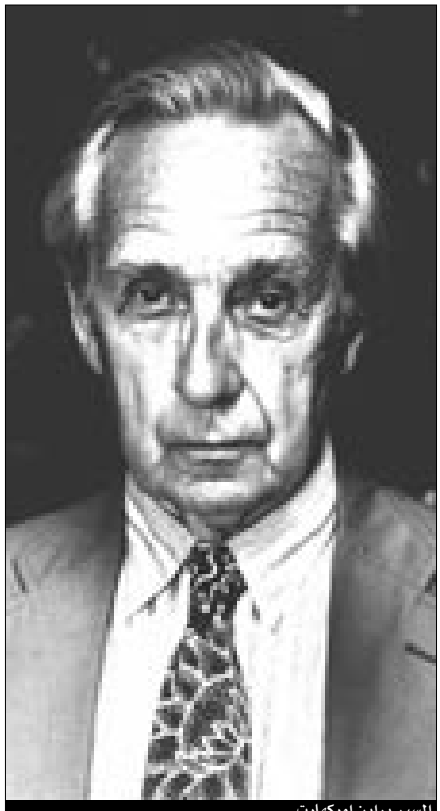

البداية: صورة التقطت من الجو لمقر اليونيفيل في الناقورة 1978

إعتبرت إسرائيل هذا الوضع غير مقبول، وأصبح من المتوقع أن ترد ميدانياً على الأرض، إن توفرت لها الحجة المناسبة. وبالفعل كانت هذه الحجة في حادث 11 آذار 1978 حيث أجرت منظمة التحرير الفلسطينية عملية إنزال لفدائيين في شمال تل أبيب واستولت على باص إسرائيلي على الطريق العام الشمالي الجنوبي. إنتهت العملية بتبادل إطلاق النار مع القوات الإسرائيلية فأودى بحياة 37 راكباً. في ليل 15/14 آذار عبرت القوات الإسرائيلية الحدود واحتلت لبنان حتى جنوب الليطاني، باستثناء صور حيث لقيت مقاومة قوية من منظمة التحرير الفلسطينية.

في 17 آذار، رفع لبنان قضية الإجتياح الإسرائيلي إلى مجلس الأمن حيث بدأت اعتبارات أوسع تؤثر على ردات الفعل. فكانت مفاوضات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل والتي كانت ترعاها الولايات المتحدة قد بلغت مرحلة حاسمة، وإذا لم يبالِ مجلس الأمن بشأن الوضع في لبنان، فكيف يمكن لرئيس جمهورية مصر أنور السادات متابعة المفاوضات مع إسرائيل وهي قد اجتاحت لتوها بلداً عربياً؟ لهذا السبب كانت الولايات المتحدة تضغط لكي يتخذ مجلس الأمن قراراً، وبشكل خاص من أجل إرسال قوة حفظ سلام إلى جنوب لبنان.

كنت في ذلك الوقت نائب الأمين العام للشؤون السياسية ومسؤولاً عن عمليات حفظ السلام إضافة إلى أمور أخرى. وكنا في الأمانة العامة في نيويورك ندرس الوضع في جنوب لبنان منذ مدة طويلة، فلم يبدُ لنا مناسباً إستقبال قوة لحفظ السلام. كان جنوب لبنان يشهد ◁◁

اجتماع مجلس الامن في 3 ايار 1978 لاعتماد القرار 427 الذي ينص على زيادة عدد قوات اليونيفيل من 4000 الى 6000. يظهر رئيس المجلس روبن كاربيو كاستيو من فنزويلا (في الوسط) متوجهاً الى اعضاء المجلس ومن بينهم الامين العام كورت فالدهايم (الى اليسار) وخلفهم نائب الامين العام للامم المتحدة براين اوركهارت (في الصف الثاني)

نزاعاً بين عصابات مختلفة، ما يشكّل مناخاً خصباً بالنسبة للقوات غير المنتظمة، وعدائياً بالنسبة للقوات النظامية. وغابت عن المنطقة أي حكومة أو جهاز شرطة، كما غابت أي عناصر من الجيش اللبناني، فلم يكن في المنطقة من يمثل سلطة حكومة ذات سيادة. إنّ وجود سلطة وطنية مشروعة، ولو ضعيفة، هو بغاية الأهمية لكي تعمل قوة حفظ السلام بالشكل الصحيح.

كانت منظمة التحرير الفلسطينية التي لم تتمتع بأي سلطة أو قيادة رسمية، وسعد حداد الذي يقود الميليشيا المدعومة من إسرائيل والتي أعلنتها الحكومة اللبنانية غير شرعية، يشكلان أقوى فريقين في الجنوب. لذا كان من غير المحتمل أن يوافق مجلس الأمن على قوة كبيرة وذات مهمة قوية بما يكفي للتعامل بشكل فعال مع هذا الوضع، كما أنّ الإسرائيليين كانوا سيطالبون بلا شك بدرجة من الإستقرار في المنطقة قبل أن يوافقوا على الإنسحاب. في النهاية، وفي آذار 1978 أصبح جنوب لبنان يشكل ما يشبه الكابوس بالنسبة لقوة حفظ السلام التابعة للامم المتحدة.

كل تلك الآراء الوقائية لم تلق الترحيب لدى الأعضاء النافذين في مجلس الأمن والذين كانوا يطالبون بالتحرك الفوري. (بعد 28 سنة، أي عام 2006، إكتسبت اليونيفيل بعضاً من المزايا الرئيسية التي كانت تنقصها عند تشكيلها الأوليّ). أخيراً أصدر مجلس الأمن القرار 425 وأسس قوة جديدة مهمتها التأكد من الإنسحاب الإسرائيلي، وإحلال السلام والأمن الدوليين ومساعدة الحكومة اللبنانية في إعادة بسط سلطتها بفعالية في جنوب لبنان. رُفضت كافة الجهود التي سعت إلى توسيع مهمة اليونيفيل لتتضمن الوسائل اللازمة للتعامل بقوة مع أي تعديات أو نشاطات عسكرية غير مشروعة في منطقة عملها. فقد اعتبرت تلك الإقتراحات مثيرة للجدل، وتم تفضيل التحرك السريع عليها. لم تقف بعض الخلافات الجدية بين أعضاء مجلس الأمن حول هذا الموضوع عائقاً أمام القرار الأخير، إذ طغى عليها الإتفاق على النواحي العامة من مهمة اليونيفيل الأصلية، لذا كانوا بعيدين عن المشاكل الحقيقية التي ستواجه قوات حفظ السلام.

أختم بالقول إنه من خلال الإرادة والشجاعة التي أبدتها الوحدات الأولى من اليونيفيل، إستطاعت قوة حفظ السلام بقيادة الجنرال أليكس أرسكين من غانا، أن تؤسس لها موقعاً في جنوب لبنان، في أقل من ثلاثة أسابيع من اعتماد القرار 425. والجدير بالذكر أنّ هذه الوحدات جاءت من فرنسا والنيبال والنروج وايران والسويد وكندا والسنغال ونيجيريا، من دون أن ننسى الطوافات الايطالية التي لعبت دوراً أساسياً. واستطاعت اليونيفيل من خلال قوتها ومهمتها المحدودتين أن تقدم أداء أفضل مما توقعنا في تلك الفترة. أما في السنوات التالية العصيبة، فشكّلت اليونيفيل عنصراً رئيسياً للإستقرار والمساعدة في المنطقة الأكثر اضطراباً في العالم، وتبقى كذلك حتى اليوم في شكلها الجديد.

السير براين أوركهارت

شغر السير براين اوركهارت منصب نائب الامين العام للشؤون السياسية الخاصة والمسؤول عن عمليات حفظ السلام في مقر الامم المتحدة في نيويورك خلال انشاء اليونيفيل عام 1978.

"في آذار 1978 أصبح جنوب لبنان يشكل ما يشبه الكابوس بالنسبة لقوة لحفظ السلام... لم تقف بعض الخلافات الجدية بين أعضاء مجلس الأمن حول هذا الموضوع عائقاً أمام القرار الأخير، إذ طغى عليها الإتفاق على النواحي العامة من مهمة اليونيفيل الأصلية، لذا كانوا بعيدين عن المشاكل الحقيقية التي ستواجه قوات حفظ السلام."

غسان تويني (الثالث من اليمين) في حديث مع الامين العام كورت فالدهايم (اقصى اليسار) و دبلوماسيين آخرين

- النهار -

القـــرار 425، أهـــم إنجـــازاتـــي

شخصية بارزة في الصحافة وفي السياسة اللبنانية، نائب في البرلمان وناشر صحيفة «النهار». هذا هو غسان تويني اليوم، لكن غسان تويني عام 1978 كان ممثل لبنان لدى الأمم المتحدة عند تأسيس اليونيفيل. فكيف فاوض باسم لبنان في نيويورك؟ لمعرفة ذلك، زاره فريق مجلة «الجنوب» في مكتبه في بيروت وهذه بعض مقتطفات الحديث الذي دار معه:

الجنوب: لعبت دوراً أساسياً في المفاوضات التي جرت عام 1978 في مجلس الأمن حول تأسيس اليونيفيل. كيف ترى تلك التجربة؟

تويني: في مجلس الأمن وُضعنا أمام خيارين، إما تأسيس اليونيفيل أو إدانة إسرائيل لاجتياحها جنوب لبنان. لم نستطع تحقيق الأمرين، فاخترنا اليونيفيل رغم أنّ بعض القادة اللبنانيين أبدوا تخوفاً من ردة الفعل على إرسال قوات تابعة للأمم المتحدة إلى لبنان. لكنني شعرت بالرضى لأنني أدركت أننا لا نأتي بقوات لاستعمار لبنان أو لاحتلاله، بل بقوات لحفظ السلام، وبضمانة دولية لسيادة لبنان واستقلاله ووحدته.

جرى التصويت في مجلس الأمن على القرار 425 عند منتصف الليل. ألححت على التحرك السريع فقلت للمجلس «الناس في لبنان يموتون في كل لحظة، بينما يستمر الإسرائيليون بتقدمهم». في النهاية توصلنا إلى إقناع رئيس المجلس بالدعوة إلى قرار فوري من دون مناقشة الموضوع، وهذا أمر لم يعتد المجلس على القيام به. ووافق أعضاء المجلس على التخلي عن حقهم بالتكلم وتأجيله إلى ما بعد التصويت، فامتنعت روسيا عن التصويت ولم تستعمل حق الفيتو، بينما رفع السفير الصيني يده على الفور تأييداً للقرار. لم نضطر حتى لحثه على التصويت لصالح القرار، فكانت هذه إشارة غير متوقعة للدعم العالمي لنا.

سرعان ما أرسلت قوات حفظ السلام إلى الجنوب، وتوقف تقدم الإسرائيليين.

هل حصل الأمر بهذه السهولة؟

في الواقع لا. ظهرت صياغة القرار 425 بطريقة لا سابق لها، بحيث أنه دعا إلى «الإنسحاب الفوري للقوات الإسرائيلية من كافة الأراضي اللبنانية». في النهاية قدّمت إسرائيل جدولاً زمنياً لانسحابها من لبنان. بدأ الإنسحاب يجري بشكل جيد إلى أن حانت المرحلة الأخيرة منه في 13 حزيران.

توقعنا أن يقوم الإسرائيليون بتسليم القيادة إلى قوات اليونيفيل، لكنني فوجئت بينما كنت أشاهد التلفزيون برؤية العلم اللبناني يرتفع في ثكنات الجيش اللبناني التي كان يحتلها الجيش الإسرائيلي في مرجعيون، وليس علم اليونيفيل. شعرت بحصول أمر مريب، وكنت على حق. فقد إنسحب الإسرائيليون بالفعل، لكنهم لم يسلّموا مواقعهم عند الحدود لليونيفيل، بل لجيش لبنان الجنوبي.

عند حصول ذلك، هل شعرت أنّ القرار 425 لم يكن يستحق منك كل العناء؟

بالعكس، بل كان القرار 425 أكبر إنجازاتي، وبالأخص الفقرة التي تنص على استعادة لبنان سيادته. يبقى أنّ القرار لم يذكر مزارع شبعا، بما أنّ إسرائيل والولايات

السفير تويني مع قائد الجيش اللبناني الجنرال خوري (الى اليسار) وقائد قوات اليونيفيل الجنرال ارسكين (في الوسط)

ظهرت صياغة القرار 425 بطريقة لا سابق لها، بحيث أنه دعا إلى «الإنسحاب الفوري للقوات الإسرائيلية من كافة الأراضي اللبنانية ...كان القرار 425 أكبر إنجازاتي، وبالأخص الفقرة التي تنص على استعادة لبنان سيادته.

المتحدة عارضتا الأمر بحجة أننا كنا نناقش الأراضي المحتلة في اجتياح 1978.

عملنا على عدة مسودات قرار، لكننا واجهنا صعوبة أساسية. فلم نستطع أن نحدد بدقة الإمتيازات التي ستتمتع بها اليونيفيل والتي ستمكّنها من «اللجوء إلى القوة في الدفاع عن النفس عند مواجهة أي محاولات تجري بالقوة لمنعها من تأدية مهامها». عملت جاهداً لكي أضيف إلى مختلف القرارات التي مدّدت ولاية اليونيفيل، بنوداً تسمح لها بالتمتع بامتيازات وبالقدرة على اللجوء إلى القوة بشكل رسمي. أردت بالطبع أن يكون لها هذا الحق، لكن من دون أن نستبدل الصفة الدفاعية لمبدأ «حفظ السلام» كما ينص الفصل السادس من ميثاق الأمم المتحدة بالصفة الهجومية الخاصة بمبدأ «فرض السلام» كما ينص الفصل السابع. فوصفت هذه الظاهرة بالفصل السادس والنصف.

توصّلنا أخيراً وبعد عناء إلى إنتاج الصياغة الملائمة لحق «الدفاع عن النفس» في القرار 501 (شباط 1982). كان هذا كل ما استطعنا فعله، إلى أن أثير الجدل ذاته من جديد عند التفاوض على القرار 1701.

ماذا تتذكر عن مفاوضاتك حول كل تلك التطورات مع محاوريك في الأمم المتحدة؟

في الواقع كان أصعب محاورينا السفير السوري وليس السفير الفلسطيني كما توقعنا. وعندما تعرّضت بعض القرى اللبنانية لقصف القنابل الإسرائيلية رداً على نيران فلسطينية صادرة من منطقة تسمّى «يد المقلاة» (وهي لسان أرض مجاور لمنطقة عمليات اليونيفيل) إقترحت أن يتم نشر قوات الأمم المتحدة في تلك المنطقة الفاصلة بين القوات المتنازعة، ووافقت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والصين أيضاً على ما أعتقد. أما السفير السوفياتي، فطلب مني أن أتحدث أولاً إلى السفير السوري وقال لي: «إن اقتنع بالطلب، فأنا موافق.»

في ذلك الوقت، أظهر الوفد الأميركي في الأمم المتحدة دعماً كبيراً لنا، حتى أنه عرض أن يرعى القرار 425، كما عمل على إقناع أعضاء من مجلس الأمن بالتصويت له. ويبرهن هذا الأمر أننا عندما نتحدث بأسلوب منطقي مع الوفد الأميركي، وليس فقط لكي نطلب منهم في كل لحظة إدانة إسرائيل، يمكننا أن نتوقع استجابة أفضل. عام 1982 فوجئت بأمر آخر حين علمت أنّ واشنطن دخلت في مفاوضات مع الحكومة اللبنانية، من دون علمي، لنشر قوة متعددة الجنسيات. لم أفهم أي نوع من العلاقة ستنشأ بين هذه القوة وبين اليونيفيل ولم لا نعزّز دور اليونيفيل في المقابل؟ كنا نستعد لتأسيس قوة دولية جديدة خارج إطار الأمم المتحدة تتمتع بميزات مشابهة لميزات اليونيفيل لكن مستقلة تماماً عنها، في الوقت الذي لم نملك فيه اي سبب يدفعنا لمعارضة وجودها وإدانتها.

أول السفراء الإسرائيليين الذين تعاملت معهم (من دون أن نتحدث الواحد إلى الآخر إلا عبر طاولة المجلس) اصبح بعدها رئيساً. وفي أول مناقشة جرت بمشاركتنا، إدّعى أنّ السفير اللبناني لم يكن يتحدث لصالح اللبنانيين بل لصالح الفلسطينيين. وأظهر دعماً لحجته عدداً من البرقيات التي أرسلها بعض من سكان مرجعيون يدّعون فيها إنهم لا يؤيدونني. فكان ردّي أن رفعت يدي ولوّحت بصورة نشرت في نيويورك تايمز تبيّن شباناً من مرجعيون وقد وضعوا حول شجرة وعصبت أعينهم وقيدت ايديهم خلف ظهورهم بينما وقف جنود إسرائيليون من حولهم يعزفون على الكمان. فسألته ما إذا كان هؤلاء الأشخاص ذاتهم الذين وقعوا على تلك البرقيات، وكل ما استطاع أن يقوله هو:»لم أر هذه الصورة سابقاً».

هل من وصفة لقرار ناجح صادر عن مجلس الأمن؟

إنّ الأمم المتحدة أداة فعالة ومفيدة جداً. وإن أردت أن تستخدمها بشكل فعال، يتوجب عليك أن تعمل دائماً بروح المصالحة، لا أن تسعى إلى النصر المطلق. من الأفضل في بعض الأحيان ألا تتعثر بكثرة التفاصيل، أو ترفض تنازلات بسيطة، إن كنت في النهاية ستنقذ جوهر قضيتك.

في آب 1982 وحين نشبت النزاعات بين إسرائيل ومختلف الجماعات المسلحة في لبنان، إعتمد مجلس الأمن القرار 516 الذي يطالب بوقف النار الفوري في لبنان وعلى امتداد الحدود اللبنانية الإسرائيلية، فكان القرار الأقصر في تاريخ الأمم المتحدة. صدر عندها بعد صياغة السفير البريطاني له والذي قال: «إن كنتم تريدون قراراً يجد حلاً لكل المسائل العالقة بين هذا الفريق وذاك، لن تنجحوا. ما تحتاجونه هو وقف لاطلاق النار، ونعالج المسائل الأخرى لاحقاً، عندما يكون وقف إطلاق النار قد سار مفعوله على الأرض.»

أتذكر من جهة أخرى صعوبة التفاوض مع الوفد السوفياتي، وبالتحديد مع خبير من هذا الوفد كان يتنقل حاملاً حقيبة مليئة بالوثائق ويقول: «لدي في هذه الحقيبة كل وثيقة، بل كل سطر تمت الموافقة عليه. لن نتفق على أي وثيقة جديدة تضيف فاصلة واحدة إلى أي قرار سبق أن وافقنا عليه. إن أردتم إضافة أي فكرة مبتكرة، لا بد أن تمر على موسكو للموافقة عليها، حتى وإن وافقنا عليها هنا».

وهذه هي الحيل المعقدة التي نضطر للعمل من خلالها. فقد أصرّ مثلاً السفراء العرب على إضافة جملة إلى القرار تدين إسرائيل، بينما كل ما يظهر كإدانة واضحة لإسرائيل يعتبر من الممنوعات بالنسبة للولايات المتحدة.

هذه ما كانت عليه تعقيدات الحياة اليومية في الأمم المتحدة، وهكذا ستبقى.

خواطر بقلم
أوّل قائد لقوات اليونيفيل

- الأمم المتحدة -

قائد قوات اليونيفيل اللواء ايمانويل ارسكين يتفقد القوات الهولندية في مقرها في حاريص ايار 1980

أصدر مجلس الأمن القرار 425، ومن بين ما نص عليه، تحديد منطقة عمليات اليونيفيل من خلال المفاوضات مع الأطراف المتنازعة، وبدأت على الفور المساعي السياسية نحو تحقيق هذا الهدف. فعقدتُ ومسؤول التنسيق الفريق أنزيو سيلاسفيو اجتماعات في 20 آذار 1978 مع وزير الدفاع الإسرائيلي عازار وايزمان ورئيس الأركان في الجيش الإسرائيلي الفريق غور. في اليوم التالي توجهنا إلى بيروت للإجتماع مع رئيس الوزراء سليم الحص ووزير الخارجية فؤاد بطرس وقائد الجيش اللبناني العماد فيكتور خوري. وفي 28 آذار، إنضم إلي الدكتور جيمس جوناه من مكتب نائب الأمين العام للشؤون السياسية الخاصة، واجتمعنا سوياً برئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات.

حين تأسست اليونيفيل وفي بداية عمليات حفظ السلام، إستفادت كثيراً من وجود المراقبين العاملين ضمن هيئة مراقبة الهدنة، واستفادت بشكل خاص من لجنة الهدنة المشتركة بين لبنان وإسرائيل والموجودة في جنوب لبنان منذ عام 1972. تجسدت هذه الإفادة في أنّ المراقبين العسكريين من لجنة الهدنة المشتركة، والتي انقسمت بعدها إلى لجنة مراقبي الهدنة في بيروت ولجنة مراقبي الهدنة في لبنان، شكّلوا ما يشبه الفريق الإعدادي من اليونيفيل، إذ أنجزوا الكثير من الأعمال التنظيمية للوحدات القادمة.

ساهمت الدول الأعضاء بأعداد كبيرة من الوحدات. ففي 23 آذار اي بعد 4 أيام فقط من إصدار القرار 425، وصلت الفرقة الفرنسية الى مطار بيروت الدولي، وبعد يومين توجهت الفرقة النروجية إلى تل أبيب فيما كانت الفرقة الايرانية آخر الواصلين في 9 حزيران.

كانت الفرقة الفرنسية تتضمن أكبر عدد من الوحدات المشاركة، حيث تكونت من كتيبة مشاة وكان مقرها في صور، كما قدمت خدمات لوجستية وهندسية وخدمات نقل. أما النروج، فأرسلت أيضاً كتيبة مشاة تمركزت في إبل السقي، إضافة إلى سرية صيانة وتصليح وأسست مستشفا ميدانياً في الناقورة. قدمت كندا سرية إشارات، ووفّرت الكتيبة الايرلندية سرية لحماية المقر العام لليونيفيل في الناقورة، كما وفّرت ايطاليا القدرة الجوية، وانضمت غانا إلى اليونيفيل لاحقاً مع وحدة وخدمات هندسية إضافية، كما جاءت السويد لتملأ مكان السرية الطبية النروجية. عام 1979، سحبت فرنسا وحدة القتال التي كانت قد ارسلتها فاستبدلت بوحدة هولندية، ومن بين البلدان الأخرى التي ساهمت بوحداتها، السنغال وفيجي والنيبال ونيجيريا. في 22 آذار، إنتقلت سريتا مشاة معززتان (السرية الايرانية من فريق مراقبي الجولان UNDOF والسرية السويدية من قوة الطوارئ التابعة للأمم المتحدة UNEF) إلى جنوب لبنان، بغية دعم عمليات لجنة مراقبي الهدنة.

تعززت قوة اليونيفيل وزادت عناصرها من 4 إلى 6 آلاف نتيجة لمناقشاتنا مع الأمين العام الدكتور كورت فالدهايم خلال زيارته الأولى لنا في نيسان عام 1978. وكان المراقبون العسكريون التابعون للجنة الهدنة المشتركة قد قاموا بالاجراءات العملانية المعتمدة لقوة اليونيفيل مما سهل الإنتشار والعمليات العسكرية بالنسبة للوحدات القادمة.

وهكذا اعتمدت الوحدات القادمة على الاجراءات العملانية المعتمدة لقوة اليونيفيل لكي تطور إجراءاتها الخاصة. وكانت هذه الخطوة أساسية من أجل التشديد على منع أي خروقات من جهة القوات الإسرائيلية المسلحة أو جيش لبنان الجنوبي، وايضا لمنع تسلل أي

كلفتنا حربنا الصغيرة في الطيري بعض العناصر، لكنها في المقابل برهنت على مبدأ الصرامة الجوهري، مبدأ كل قوة لحفظ السلام.

- الأمم المتحدة -

القوات الايرلندية خلال مهمة مراقبة من الموقع المطل على قرية الطيري ايار 1980

عناصر مسلحة من منظمة التحرير الفلسطينية على سبيل المثال أو أي مقاتلين لبنانيين آخرين، إلى منطقة عمليات اليونيفيل. لهذا الهدف، تعززت الحواجز لتوفير حماية قصوى للقوات، وسُيّرت الدوريات المؤللة والدوريات الراجلة على مدار الساعة كما تمت مراقبة كافة التحركات من مواقع مراقبة معززة.

شكّلت هذه النشاطات المهام الأساسية لليونيفيل والتي لم تكن خالية من المخاطر، خاصة على الحواجز، حيث كانت تقع بعض الاصابات في صفوف اليونيفيل من وقت إلى آخر. بالرغم من وقوع هذه الاصابات، كان لا بد من اقامة هذه الحواجز في المرحلة التأسيسية الاولى للمهمة.

أظهرت اليونيفيل درجة مهنية ومناقبية كقوة حفظ سلام فعالة ومفيدة، عندما حان الوقت لاستخدام القوة من أجل الدفاع عن مهمتها. في نيسان عام 1980، حاول جيش لبنان الجنوبي أن يستولي على قرية الطيري بالقوة. حشدت اليونيفيل إحتياطي قواتها المتحركة التي تضمنت صاروخ «تاو» TOW الهولندي المضاد للدبابات. كلفتنا حربنا الصغيرة في الطيري بعض العناصر، لكنها في المقابل برهنت على مبدأ الصرامة الجوهري، مبدأ كل قوة لحفظ السلام. نجحت اليونيفيل في مهمتها بفضل مهنية جنودها، والدعم الدائم من الأمين العام للأمم المتحدة، والحكومات المساهمة، وفعالية قيادة اليونيفيل الموحدة.

واجهت اليونيفيل صعوبات كثيرة من النواحي السياسية والعملانية والإدارية، وسط الأزمة اللبنانية. في 13 حزيران وخلال الإنسحاب الإسرائيلي، لم تسلّم القوات الإسرائيلية المسلحة اليونيفيل الأرض الممتدة على طول حدودها والتي تسكنها غالبية مسيحية، بل أعطتها للميليشيا التابعة لها، فشكّل هذا العائق السياسي الرئيسي أمام تنفيذ اليونيفيل لمهمتها بشكل كامل. وقعت أولى الضحايا من بين صفوفنا حين خطا المؤهل أول كارل أوسكار جوهانسن من الفرقة الامنية السويدية فوق لغم أرضي في منطقة جسر الخردلة خلال أيام الإنتشار الأولى. وبعد يوم على وصول الجنود السنغاليين، قتل ثلاثة منهم عندما مرت سيارتهم الجيب فوق لغم أرضي.

عانت قواتنا من القتل والخطف وإطلاق النار، وتعرّض مقر القوة في الناقورة للقصف المتعمد، كما كانت مقرات الوحدات تتعرض للقصف من حين إلى آخر. وكان استهداف اليونيفيل يأتي دائماً للرد على الأعمال التي تقوم بها في إطار مهمتها الشرعية. في 12 نيسان 1980، تعرضت الناقورة لقصف كثيف بعد هزيمة الرائد حداد وقواته في الطيري، وتعرضت شخصياً للإعتداء الجسدي خلال مفاوضاتي مع حداد وبعض عناصر ميليشياته، من أجل إطلاق الجنود الهولنديين الثلاثة الذين خطفوا واخذوا رهائن. وبناءً للإجراءات العملانية المعتمدة، كنا دائماً في موقع المدافعة.

كان موظفو اليونيفيل يسلكون الطريق الساحلية إلى بيروت للحصول على حاجياتهم اللوجستية، لكن أعاقت هذه التنقلات حواجز لا تحصى وضعتها مختلف المجموعات المسلحة المتورطة في الأزمة اللبنانية. وكانت هذه من أبرز الصعوبات الإدارية التي واجهناها.

كان إحضار قوات الجيش اللبناني من بيروت إلى منطقة عملياتنا، من أهم وأصعب المهام التي أوكلت إلينا، فقد اعتبر وجود الجيش يشكل تحدياً لصورة الرائد حداد والميليشيا التي يقودها. وجرى التعبير عن المقاومة الشرسة لانتشار الجيش اللبناني من خلال قصف المقر النرويجي في إبل السقي والمقر النيبالي في بلاط، وقوات الجيش اللبناني في كوكبا. في النهاية إستطاعت اليونيفيل أن تتخطى هذه الصعوبات بمساعدة لجنة مراقبي الهدنة في لبنان، وفي 1 آب 1978، وصل الجيش اللبناني ليعمل جنباً إلى جنب مع قوات اليونيفيل.

لم يكن مؤسسو مهمة اليونيفيل يخططون لتقديم الخدمات الإنسانية عند تأسيسها، لكننا أدركنا أننا لن نتمكن من تنفيذ أهدافنا، إن لم نساعد السكان الشيعة لاسترجاع حياتهم الطبيعية. وخلال زيارة الأمين العام للأمم المتحدة دمشق في منتصف تموز 1978، أثرتُ موضوع المساعدات الإنسانية أمامه فوافق على الفور. منذ ذلك التاريخ أصبحت الخدمات الإنسانية جزءاً لا يتجزأ من عمليات اليونيفيل، ففتحت المنشآت الطبية للناس، وأمدّتهم بالمياه. كما قدّم مهندسونا المساعدة لإعادة الكهرباء إلى المناطق، ولنزع الألغام من المزارع لكي يعود للمزارعين مصدر رزقهم الأساسي. وكنا نشعر بالطمأنينة والسعادة لدى رؤية المهجرين يعودون إلى منازلهم والأولاد إلى مدارسهم.

إعتمد استقرار جنوب لبنان في تلك الفترة بشكل حاسم على وجود اليونيفيل، كما وفّر هذا الوجود البيئة السليمة المناسبة للتقدم بعملية صنع السلام. آمل أن تتمكن اليونيفيل من متابعة مهمتها فيكون لها تأثير على عملية صنع السلام، والسعي نحو السلام الدائم. أود أن أغتنم هذه الفرصة التاريخية لكي أقدم الثناء إلى كل الجنود، والموظفين المدنيين أكانوا من المحليين أو الأجانب، الذين خدموا ويستمرون بخدمة قضية السلام من خلال اليونيفيل.

الفريق ايمانويل أ. أرسكين

الوحدة الفرنسية تتوجه الى صور في جنوب لبنان بعد وصولها الى مطار بيروت للانضمام الى قوات اليونيفيل 24 آذار 1978

- الأمم المتحدة -

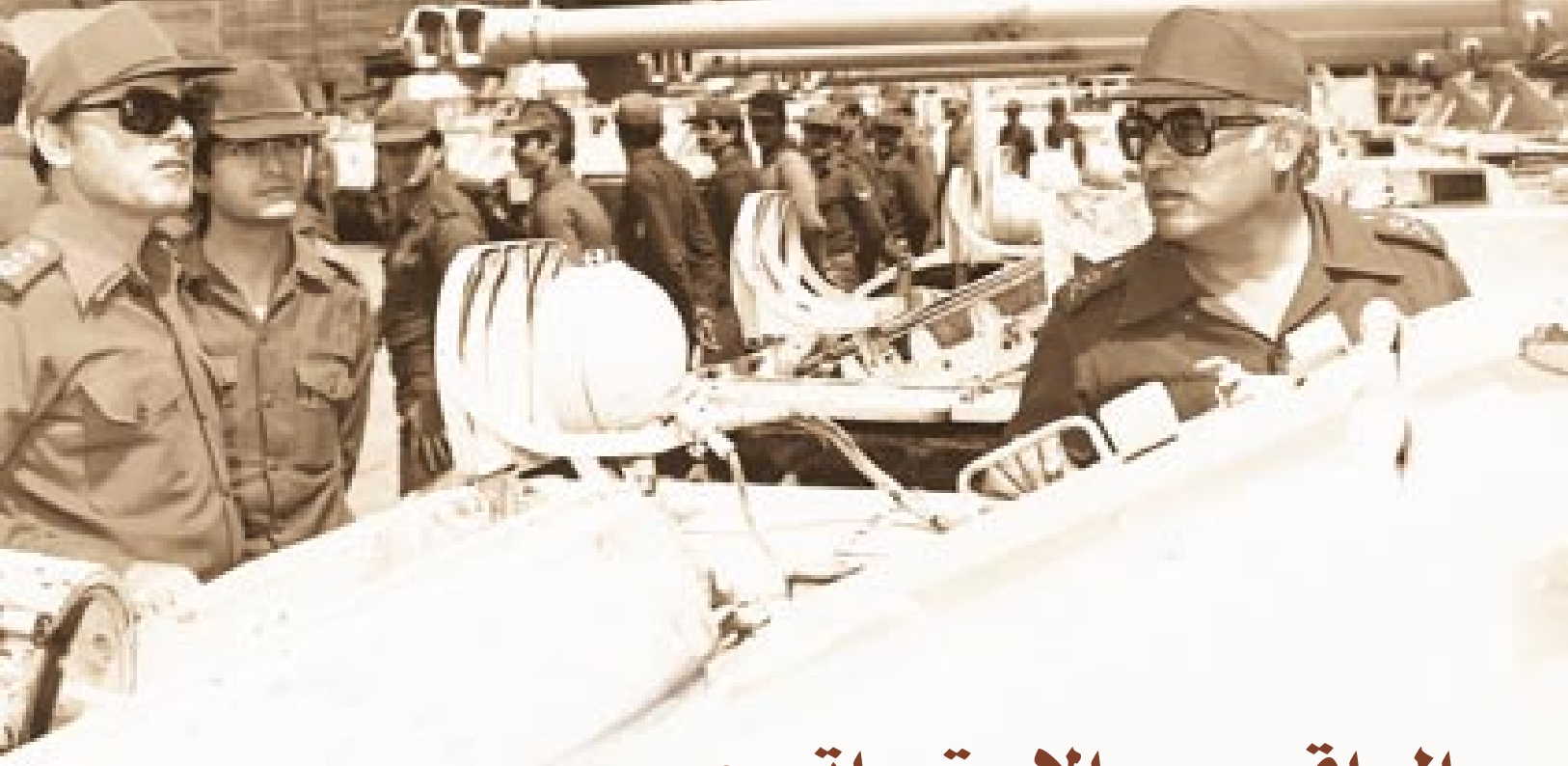

القائد: الجنرال خوري وراء الدبابة

الواقعي والاستراتيجي

تسلّم الجنرال فكتور خوري قيادة الجيش اللبناني خلال فترة دقيقة في تاريخ لبنان ما بين عامي 1977 و1982، عيّن خلالها عام 1979 وزيراً للدفاع الوطني مع الإحتفاظ بحق العودة إلى منصبه عند انتهاء ولايته. تولى مهمة لا يحسد عليها، هي قيادة جيش لبناني منقسم، وسط حرب أهلية، والنشاطات المسلحة لمنظمة التحرير الفلسطينية والإحتلال الاسرائيلي. لذا حين وصلت قوات اليونيفيل إلى جنوب لبنان، وجد فيها العزاء.

ظهر الجنرال **فكتور خوري** استراتيجياً عسكرياً يقتبس الكثير من كلاوسفيتس وشيرشل عندما تحدثت إليه **دنيز أبو زيد** من مجلة «الجنوب» في منزله في تلال عمشيت ذات الطبيعة الخلابة. قارب الثمانين من العمر وبدا ممتلئ الجسم قصيراً حين جلس يتحدث لساعات فاعترف بأنّ حبه لركوب الخيل يوازي شغفه لبلاده، وراح يتذكر الأيام التاريخية حين تأسس مفهوم حفظ السلام في لبنان.

هذه بعض المقتطفات:

أبو زيد: كيف كان وقع قراري مجلس الأمن 425 و426 عليك، وهما اللذان نصا على إنشاء قوة اليونيفيل؟

خوري: لم أصدق في البداية، وأذكر الإتصال الذي وردني من غسان تويني (كان وقتها ممثل لبنان الدائم لدى الأمم المتحدة) في منتصف الليل. كان يتصل من نيويورك ليقول لي إنّ مجلس الأمن قد اعتمد القرار 425 ويعمل على القرار 426، وإنه يحاول أن يتصل بالرئيس سركيس وبوزير الخارجية بطرس، لكن لا أحد يجيبه. وفي ذلك الوقت كنت أملك في مكتبي التلكس الوحيد الصالح للإستعمال، فقلت له أن يرسل لي وثيقة القرار عبر التلكس، لأنقلها بنفسي إلى الرئيس.

سرّ الرئيس سركيس بالقرار، بينما أبدى الوزير بطرس شكوكه حياله، إذ كان شخصاً متشائماً بعض الشيء. أنا شخصياً لم أصدق أننا للمرة الأولى سنواجه إسرائيل ونجبرها على الإنسحاب. رحّبت بالقرار لأنه برأيي يمنح شرعية للحكومة وللجيش، وكنت متشوقاً لنشر الجيش لأنني عملت ضابطاً في الجنوب لأكثر من عشرين سنة.

> **كان التنسيق مع اليونيفيل ممتازاً، وكان يتم عبر ضباط ارتباط من الجهتين حتى أننا في الواقع عملنا كقوة واحدة. عام 1979 ومع بداية انتشار الجيش اللبناني مع اليونيفيل، أصبحت وحداتنا جزءاً لا يتجزأ من وحدات اليونيفيل، حتى أنها منحت بطاقات هوية تابعة لليونيفيل.**

هلا أخبرتنا عن أبرز مخاوفك في تلك الفترة حين عيّنت قائداً للجيش؟

حين تسلّمت قيادة الجيش اللبناني عام 1977، كانت القوات المسلحة منقسمة إلى تسعة جيوش، وكانت أولوية بالنسبة إلي كقائد للجيش أن أحاول تحقيق نوع من

الاستراتيجي: الجنرال خوري (الى اليمين)

بعد التفكيـر والبحث قررنا أن نرسل الجيش اللبناني إلـى الجنـوب. لم تكن هذه بالخطوة السهلة إذ اضطررنا للتفاوض مع مختلف الأطراف اللبنـانيـة لهـذا الهـدف. لقـد اضطـررنـا في مرحلة معينـة أن نسـتعين بمساعي الفـاتيكان الجيدة للتفاوض مع المسيحيين.

الوحدة بين القوات المسلحة. كان من المهم جداً بالنسبة إلي أن أوحّد المسيحيين والمسلمين في الجيش لأنني أؤمن بضرورة الوفاق بين المواطنين جميعاً، وبأنّ من يرفض العيش مع الآخر يكون خائناً.

كيف استطعت التوفيق ما بين طموحك هذا ومتطلبات القرار 425 الذي يقضي بنشر الجيش اللبناني إلى جانب اليونيفيل في جنوب لبنان؟

في الواقع تعلمت في أفضل المدارس العسكرية، كما تعلّمت أن أؤمن بقول كلاوسفيتس، بأنه إن جمعت جيشاً حول فكرة هامة، يمكنك أن تقرّب ما بين قطبين. وكان هذا المبدأ الذي اعتمدته خلال خدمتي.

لا شك أننا كنا نشعر بالقلق حيال إرسال قوات أجنبية والجيش اللبناني نحو منطقة منقسمة. كان أبناء الجنوب يتقاتلون فيما بينهم، فكيف سيستقبلون غرباء؟

بعد التفكير والبحث قررنا أن نرسل الجيش اللبناني إلى الجنوب. لم تكن هذه بالخطوة السهلة إذ اضطررنا للتفاوض مع مختلف الأطراف اللبنانية لهذا الهدف. لقد اضطررنا في مرحلة معينة أن نستعين بمساعي الفاتيكان الجيدة للتفاوض مع المسيحيين.

كان من المفترض أن يتولى المقدم أديب سعد قيادة القوات المرسلة إلى الجنوب، لكن بالرغم من الجهود الحثيثة التي بذلناها، تعرّضت فصيلتنا إلى قصف كثيف بقنابل 155 مللم قرب كوكبا.

ما أراده الإسرائيليون هو أن يتمتع الجيش اللبناني المنتشر في الجنوب بمزيج متساو من المسيحيين والمسلمين وأن يتولى سعد حداد قيادته. لهذه الغاية، شكّلت فرقة خاصة من الضباط المختارين من المسلمين والمسيحيين، وأبقيتهم في مخيم في بعلبك حيث منع عليهم أي اتصال خارجي إلى أن يتم نشرهم في الجنوب.

كيف جرى التنسيق مع اليونيفيل؟

كان التنسيق مع اليونيفيل ممتازاً، وكان يتم عبر ضباط ارتباط من الجهتين حتى أننا في الواقع عملنا كقوة واحدة. عام 1979 ومع بداية انتشار الجيش اللبناني مع اليونيفيل، أصبحت وحداتنا جزءاً لا يتجزأ من وحدات اليونيفيل، حتى أنها منحت بطاقات هوية تابعة لليونيفيل.

كان الوضع متقلباً بين الهدوء والتوتر، والجيش منقسماً ومتروكاً. أما علاقتنا مع اليونيفيل فظلت قائمة على تبادل المعلومات، وكانوا يهتمون بأمور عديدة بالنيابة عن الجيش. كانت اليونيفل تساعد على سبيل المثال في تبديل القوات عبر طوافاتها لأنّ الطريق الساحلية كانت مقطوعة.

لم يتضمن تعاوننا أي عمليات مشتركة بين القوتين لأنّ الجيش اللبناني كان يفتقر إلى الثقة بالنفس عندها، ولم يكن جيشاً قوياً لكن كان يدرك تماماً القوة الكبيرة التي يواجهها. كان الجنود اللبنانيون يعلمون بأنّ الإسرائيليين سيفتعلون المشاكل بينهم وبين المقاومة اللبنانية، وبالفعل سرعان ما هاجمت إسرائيل واضطر الجيش للإنسحاب.

حين بدأ الإجتياح الإسرائيلي، هل شعرت بالخوف من احتمال مغادرة اليونيفيل؟

بالطبع شعرت بالخوف، فاليونيفيل كانت تحمينا، وكما قلت سابقاً، إنّ الجيش اللبناني ليس قوياً بما يكفي ليواجه الإجتياح الإسرائيلي وحده. هذه هي الحقيقة وكما قال ونستن شيرشل: «في زمن الحرب لا تظهر الحقيقة القيّمة من دون أن ترافقها الأكاذيب.»

لكن حتى قبل الإجتياح، لماذا لمْ تتمكن اليونيفيل من الإنتشار عند الحدود؟

هذا ما يؤكد لك أنّ إسرائيل لم تكن ترغب بوجودها هنا. عمدت إسرائيل إلى إعادة تصميم الحدود بعد اتفاق سايكس بيكو، فقد أرادت أن تضع يدها على مزارع شبعا من أجل الوصول إلى مياه نهر الوزاني، ولأنها فقط من خلال شبعا تستطيع الوصول إلى منتجع التزلج في جبل الشيخ.

في إحدى الجلسات كانوا يناقشون إضافة المزيد من القوات إلى اليونيفيل، فكانت إجابتي: «ضعوا روسياً من جهة وأميركياً من جهة أخرى ولن يجرؤ الإسرائيليون على التعرض لهم». ما قصدته هو أنك متى أردت أن تمنع حدوث اعتداء، ينبغي أن يكون لديك قوات موازية أو أكبر.

ما رأيك بالويونيفيل في وقتها واليونيفيل الآن؟

في ذلك الوقت كانت نظرية حفظ السلام جديدة علينا. ولم نكن نفهم لمَ قد يقدم جندي من غانا على تعريض حياته للخطر في بلد غير موطنه. يفعل ذلك بالطبع من أجل قضية السلام.

توجّب علينا أيضاً أن نفهم أنّ هؤلاء جنود تدربوا على القتال، لكن حين أصبحوا جنوداً تحت راية اليونيفيل أصبحوا مضطرين للدفاع عن أنفسهم أو حل المشاكل من خلال التفاوض والكلام. وهذا هو مفهوم حفظ السلام.

أما بالنسبة لليونيفيل اليوم، فقد اكتسبت معنى أوسع. إنها تساعد في تعزيز الوضع الإقتصادي في الجنوب بوجود الجنود ومساهمتهم. ومن خلال التعاون بين اليونيفيل والجيش اللبناني، تم تعريفنا إلى استراتيجيات وأنظمة أكثر تطوراً. تبقى الناحية التي لا تغيب في هذه العلاقة، هي ناحية التواصل الإجتماعي، الذي يتجسد في النشاطات الإجتماعية وفي التعرف إلى عادات البعض وتقاليدهم.

بحثاً عن الجنـــدي المفقـــود

كاد الجندي كيفن جويس يبلـغ نهاية خدمته مع الكتيبة الايرلندية في اليونيفيل في ربيع 1981، وكان ينتظر شهر أيار للعودة إلى دبلن، ومنها إلى جالواي على الساحل الغربي. من جالواي سيستقل سفينة لمدة تسعين دقيقة نحو جزر آران موطن والديه، وإحدى المناطق الغيلية الأخيرة المتبقية في ايرلندا، ومنها كان اسمه الغيلي كيمغين سويغ. جعل كيفن والديه وإخوتـه الأربعة فخورين به لكنه لم يحصل على الاستقبال الذي يليق بجندي من قـوات حفظ السـلام، لأنه في السابع والعشرين من نيسان وفي فترة ما بعد الظهر، خطف كيفـن البـالغ عشرين عاماً فيما كان يخدم في ناحية نائية من جنوب لبنان، وفقد كل اثر له.

في ذاك اليوم، كان الجندي جويس يرافق الجندي هيوغ دوهرتي الذي وصل حديثاً نحو موقع مراقبة خلال النهار يقع مقابل قرية دير نطار، شمال غرب مقر الوحدة الايرلندية في تبنين. أقيم المركز على أرض صخرية وشكّل نقطة استراتيجية تسمح بمراقبة كافة الأودية المحيطة بالمكان.

زارهما قائدا الكتيبة المنتهية ولايتها والكتيبة الحديثة الوصول خلال فترة بعد الظهر، لكن مر الوقت وأصبحت الساعة السادسة والجنديان لم يظهرا بعد في نقطة اللقاء المحددة لنقلهما. لقد تعرّض موقعهما لهجوم مسلح.

عثر فريق البحث على الجندي دوهرتي مقتولاً، لكن لم يجد أثراً للجندي جويس أو لمعداته. لا أحد يعلم ما حدث، فلم يتم كشف هوية مرتكبي هذا الهجوم، ولم يبق من الجنديين من يروي القصة. بذلت جهود كثيرة ومتعددة من أجل العثور على الجندي جويس واستمرت لسنوات طوال، لكن كل دليل وُجد أوصل التحقيق في قضيته إلى طريق مسدود.

كيف لا والظروف الميدانية في ذلك الوقت لم تكن ملائمة لإجراء عملية بحث؟ فطبيعة الأرض المحيطة جبلية وأوديتها عميقة وضيّقة، وجنوب لبنان يتخبّط في نزاع أكثر عمقاً. أما قرية دير قنطار فتقع بمحاذاة منطقة عرفت عندها بـ«المثلث الايرلندي» حيث دار القتال بين الفلسطينيين والإسرائيليين ومجموعات لبنانية وكانت التحركات ممنوعة.

مع مرور السنوات، يصبح العثور على المفقودين أحياءً صعباً فمستحيلاً، لكنّ أحباءهم لا يفقدون الأمل رغم أنّ ألم الخسارة لا يفارقهم يوماً.

كانت اليونيفيل قد رفعت تقارير عمليات عدائية محتدمة في منطقة عملياتها، في اليوم ذاته الذي وقع فيه الحادث، وورد فيها: «بدأ جيش لبنان الجنوبي والميليشيات التابعة له، والقوات الإسرائيلية بإطلاق نار في القطاع الشمالي الشرقي في الصباح، إستمر حتى اليوم التالي. أطلقت حوالى 800 طلقة مدفعية ودبابات وقذائف هاون. وخلال الفترة ذاتها، كانت عناصر مسلحة ينتمي معظمها إلى منظمة التحرير الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية قد أطلقت ما يقارب الـ340 طلقة مدفعية وقذائف هاون وصواريخ، سقط بعضها في إسرائيل. في القطاع الغربي، أطلقت عناصر مسلحة 41 صاروخاً، وقع العدد الأكبر منها في منطقة الجليل الغربية. وفي هذا القطاع أيضاً، قصفت القوات الإسرائيلية منطقة الرشيدية، كما أغارت الطوافات الإسرائيلية بشكل كثيف على صور ونقاط أخرى في الشمال...»

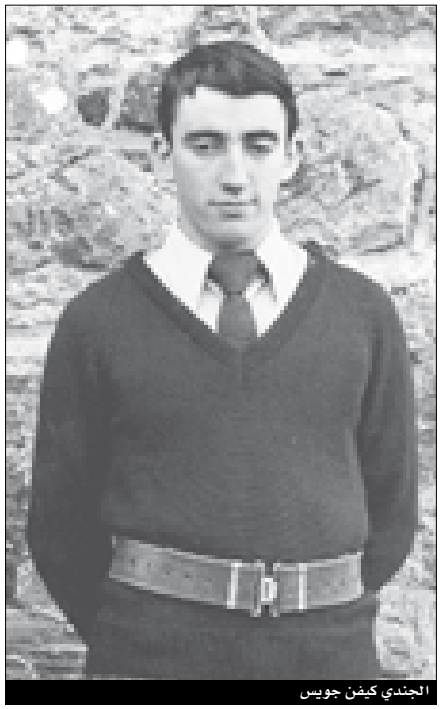
الجندي كيفن جويس

لم يكن الجنديان جويس ودوهرتي الضحيتين الوحيدتين في صفوف اليونيفيل خلال تلك الفترة. فقد صرّح الأمين العام للأمم المتحدة في تقريره إلى مجلس الأمن في حزيران 1981 أنه منذ كانون الأول 1980، قتل من صفوف اليونيفيل حوالى 15 عنصراً، ثمانية منهم وسط أعمال عدائية، وجرح 49 آخرون، 24 منهم نتيجة أعمال عدائية.

الموت حدث مأساوي، لكنّ المأساة عند أهل المفقودين لا تنتهي. لقي كثيرون من جنوب لبنان خلال تلك الفترة المصير ذاته الذي لقيه الجندي جويس. مع مرور السنوات، يصبح العثور على المفقودين أحياءً صعباً فمستحيلاً، لكنّ أحباءهم لا يفقدون الأمل رغم أنّ ألم الخسارة لا يفارقهم يوماً. إنهم بحاجة ماسة لمتابعة حياتهم بشكل طبيعي، ووضع حدّ لأحزانهم حتى وإن كان ذلك نتيجة خبر سيء.

تتوجه مجلة «الجنوب» إلى قرائها سائلة إياهم تزويدها بأي معلومات حول الجندي كيفن جويس، جندي حفظ السلام الذي فقد في 27 نيسان 1981 خلال تأديته مهامه والذي يعتقد أنه ميت. إنه جندي جاء من جزيرة صغيرة مقابل ساحل ايرلندا لكي يخدم شعب لبنان.

إن كان لديكم أي معلومات حول الجندي كيفن جويس، نرجو الاتصال بمكتب مجلة «الجنـوب» على الأرقام:
+961 1 827 020 أو +961 1 827 016
البريد الإلكتروني: unifil-pio@un.org
فاكس: +961 1 827 016

- اليونيفيل -

نصب اليونيفيل التذكاري الموجود في مقر اليونيفيل في الناقورة،
واقيم تكريماً لقوات حفظ السلام الذين استشهدوا خلال الخدمة.

في 25 آذار من كل سنة، تحيي الامم المتحدة اليوم العالمي للتضامن مع موظفيها المفقودين او المعتقلين. وتهدف من خلال هذا اليوم الى جذب الاهتمام نحو العاملين في منظمة الامم المتحدة الذين اوقفوا او اعتقلوا او خطفوا او اختفوا خلال الخدمة، والى اهمية امنهم وسلامتهم.

في هذا اليوم عام 1985 اقدم رجال مسلحون على اختطاف أليك كوليت قرب مطار بيروت بينما كان في مهمة لمنظمة الاونروا. عمل السيد كوليت كصحفي ومدير لمركز الامم المتحدة الاعلامي في أكرا، ولا يزال مصيره مجهولاً.

تحيي الامم المتحدة اليوم العالمي للتضامن مع موظفي الامم المتحدة المفقودين او المعتقلين للسنة الـ 23، وحتى هذه السنة يبقى 40 موظفاً من انحاء العالم في عداد الموقوفين او المعتقلين او المفقودين.

ثلاثون

الأمم المتحدة -

عاماً
الناقورة 2008

1978

انشأ مجلس الامن اليونيفيل لضمان الانسحاب الاسرائيلي من لبنان، واعادة احلال السلام والامن الدوليين، ومساعدة الحكومة اللبنانية في بسط سلطتها في الجنوب.

بيان صحفي لياسر عرفات بحضور مسؤولين في الامم المتحدة، بعد تلبيته نداء الامين العام لوقف اطلاق النار في جنوب لبنان 28 آذار 1978

حرب الـ 34 يوماً بين حزب الله و اسرائيل تموز - آب 2006

عناصر من الجيش اللبناني واليونيفيل في طريقهم للتحقق من الخط الازرق 20 تموز 2000

إزالة الركام الناتج عن القصف الإسرائيلي لمبنى سكني في صور 18 نيسان 1996

الأمين العام كوفي أنان في جولة لمنطقة الخط الأزرق 26 آب 2006

1978
- الإجتياح الإسرائيلي للبنان
- صدور القرارين 426/425
- إنشاء اليونيفيل

1982
الإجتياح الإسرائيلي الثاني للبنان

1985
إنسحاب إسرائيل من لبنان

الامين العام كورت فالدهايم خلال زيارته القطاع الشرقي من جنوب لبنان 18 نيسان 1978

جنود نيباليون من قوات حفظ السلام يدردشون مع صبية لبنانيين خارج مقر اليونيفيل في الناقورة
27 نيسان 1978

اخماد النيران في المركز الفيجي في قانا بعد تعرضه للقصف الاسرائيلي 18 نيسان 1996

نزاع نيسان 1996

تعزيزات ايطالية لليونيفيل تصل إلى شاطئ صور آب 2006

إنتشار الجيش اللبناني في الجنوب آب - أيلول 2006

عرض عسكري لقوات حفظ السلام الايرانيين 31 كانون الثاني 1979

عناصر فيجيون من قوات حفظ السلام عند حاجز "شارلي 21" في القليلة 1 أيار 1980

جندي فيجي من قوات حفظ السلام يرحب بالجيش اللبناني أثناء دخوله الى قانا 9 آب 1993

نروجيون من قوات حفظ السلام يجرون مسحاً للأرض بحثاً عن الالغام 26 تشرين الثاني 1990

القوة البحرية التابعة لليونيفيل خلال إحدى المهمات، وهي منتشرة منذ 15 تشرين الأول 2006

الأمين العام بان كي مون وقائد قوات اليونيفيل اللواء كلاوديو غرازيانو في مقر اليونيفيل في الناقورة 30 آذار 2007

عودة العمليات العدائية

1996

الإنسحاب الإسرائيلي

2000

اجتماع الامين العام خافيير بيريز دي كويلار مع ممثلي البلدان المشاركة في قوة اليونيفيل
11 نيسان 1984

محادثات اليونيفيل مع ممثلي الجيشين اللبناني والاسرائيلي في الناقورة 20 كانون الاول 1984

تظاهرة شعبية في جنوب لبنان تأييداً لبقاء اليونيفيل 18 ايلول 1986

الاولاد يقدمون الورود لقوات حفظ السلام 7 كانون الثاني 1986

إحدى دوريات اليونيفيل في الجنوب 28 حزيران 2007

2008

بعد 30 سنة توسعت قوة اليونيفيل لتشرف على وقف العمليات العدائية، بينما تعمل على توفير جو امني وعسكري جديد وآمن على الصعيد الاستراتيجي في جنوب لبنان، بالتعاون مع الجيش اللبناني.

2006
- حرب الـ34 يوماً
- صدور القرار 1701

2007
بلوغ عدد قوات اليونيفيل أكثر من 13000 عنصر

2008
30 سنة من اليونيفيل

قصّة حسن سقلاوي

«... تلتقي بشخص يدعى حسن سقلاوي. إن أردت فعلاً أن تعرف ما يحصل في جنوب لبنان، ما عليك سوى التحدث إليه. فهو الذي عاش في الجنوب وعايش الجنوب.»

هذه الكلمات التي يسمعها عادةً موظف في الأمم المتحدة يستعد للعمل مع اليونيفيل، لا تفي حسن حقه.

إنه جزء لا يتجزأ من اليونيفيل منذ تواجدها، أي منذ حوالى ثلاثين سنة. وبالتالي فهو شاهد على بعض الأحداث التي هزّت بلاده وشكّلت نقطة تحول في مهمة الأمم المتحدة، لا بل إنه مشارك فيها.

إنّ الهجوم على مركز اليونيفيل في قانا شكّل نقطة تحوّل بالنسبة له كموظف في الأمم المتحدة، ومواطن لبناني متفان، وإنسان... لكن بقدر الصدمة التي أحدثها قصف مركز القوات الدولية في قانا، فقد تعمّقت العلاقة بين قوات حفظ السلام وسكان جنوب لبنان، وهي علاقة قوية منذ البداية. إنها روابط الصلة التي تمتّنت وسط الفاجعة وهول الحرب.

يقيم حسن في صور، وقد ارتبط اسمه باليونيفيل منذ إنشائها عام 1978، إذ كان يعمل مع اليونيفيل بشكل أو بآخر. بدأ كمراسل حر يغطي نشاطات اليونيفيل لوكالة الأنباء «أسوشييتد بريس»، وسرعان ما عرض عليه أن يعمل لدى اليونيفيل، وقبل العرض.

يقول حسن ممازحاً: «أنا قطعة من أثاث اليونيفيل».

تركّز معظم عمله على النشاطات المتوجهة إلى الخارج، التي تعنى بالناحية الإعلامية والتفاعل مع الناس. وفي هذا يقول: «لطالما شعرت بأنني صلة الوصل بينهم وبين اليونيفيل، ونحن نفتخر بالعلاقة التي جمعتنا مع الإعلام المحلي. كنا نساعدهم بشتى الطرق، فيستخدمون مواردنا كلما اشتد الخطر أو بلغ النزاع مرحلة حاسمة ولم يتمكنوا من الحصول على الأخبار.»

يشكّل حسن أرشيفاً متنقلاً لتاريخ اليونيفيل في لبنان، فقد استطاع أن يكسب احترام الجميع أينما وجد في منطقة عملياتها، وأن يتواصل مع أهل تلك المنطقة وأحزابها بسهولة. لهذه الأسباب إعتمد عليه كثيرون من قادة اليونيفيل وكبار مسؤوليها في توفير المشورة والنظرة الثاقبة المحللة للأحداث، فأصبح بالتالي يد اليونيفيل اليمنى في الميدان.

لم تكن وظيفته سهلة، فهو اليوم لم يعد يذكر عدد المرات التي تعرّض فيها للخطر، بل يعتبرها من «أخطار المهنة».

حين يتذكر حسن ثلاثين سنة من العمل المستمر حتى يومنا هذا مع اليونيفيل، يقول إنّ الهجوم على مركز اليونيفيل في قانا شكّل نقطة تحول بالنسبة له كموظف في الأمم المتحدة، ومواطن لبناني متفان، وإنسان. في 18 نيسان 1996، هاجمت المدفعية الإسرائيلية مركزاً تابعاً للأمم المتحدة في قرية قانا، حيث التجأ 800 مدني لبناني للإحتماء من عمليات القتال. حصدت عملية القصف 106 قتلى و116 جريحاً، من بينهم أربعة من قوات حفظ السلام الفيجيين.

يروي حسن عن هذه الحادثة: «في البداية لم نصدق أنهم يقصفون مركز القوات الفيجية المعروف، والذي يرفع علم الأمم المتحدة، وداخله مدنيون من نساء وأولاد وشيوخ قد اتخذوا من مقر الأمم المتحدة ملجأ آمناً لهم. لكن لم يراودنا شك بأننا نسمع صوت انفجار قنابل وأصوات النجدة. فجأة، صمت الراديو، ولم ندرك حجم الكارثة إلا حين وصلنا إلى قانا. كنا نسير فوق الجثث محاطين بالدخان وبصمت مخيف، وبقينا لساعات نحاول أن ننتشل المصابين، لكن للأسف قتل من قتل وجرح الكثيرون. ستبقى الصور التي رأيتها إلى الأبد محفورة في ذهني.»

ثم قال حسن هامساً: «كان مركزاً تابعاً للأمم المتحدة، وعليه علم الأمم المتحدة وداخله يعيش مدنيون، وكافة الأطراف تعرف ذلك فكان عليها أن تحترم هذا الأمر. الجنود مدربون على القتال، لكن ما شأن المدنيين؟ يصعب أن تستوعب ما حصل وتتابع حياتك.»

لكن بقدر الصدمة التي أحدثها قصف مركز القوات الدولية في قانا، فقد تعمّقت العلاقة بين قوات حفظ السلام وسكان جنوب لبنان، وهي علاقة قوية منذ البداية. إنها روابط الصلة التي تمتّنت وسط الفاجعة وهول الحرب.

يقول حسن: «معاً تعرّضنا للقصف، ومعاً نجونا. ومن الممكن أن يتعرض عناصر قوات حفظ السلام للقتل كما يحصل للمدنيين. هكذا شعرنا كلنا. إنها قوات جاءت من البعيد بعد أن تركت عائلاتها، وعرّضت حياتها للخطر من أجل أن ينعم لبنان بمستقبل آمن. كان هذا الحدث نقطة تحول حقيقية جعلت سكان الجنوب يضعون ثقتهم في مهمة اليونيفيل، وفي عناصرها الذين واجهوا الخطر من أجل شعب لبنان.»

عنف، أعمال بطولية، معاناة، قدرة تحمل، كلها مراحل مر بها حسن ليس لأنه اختار ذلك، بل لأنه رغب القيام بهذا العمل، وبتأديته على أحسن وجه. إنه عمل أحبه لأنه أحب هذا البلد، ولأنه أمل بصدق أن يصبح بلداً يعمّه السلام.

يشعر اليوم بالرضى التام عن تجربته مع اليونيفيل، وبشكل خاص عن ناحية واحدة وهي العلاقات الوثيقة التي أسسها مع المحليين. تختلف هذه العلاقات في إطار النشاطات التي قدّمتها للسكان كتزويد القرى بالكهرباء خلال فترات انقطاعها الطويلة، والنشاطات التي أقامتها للأشخاص كتطوع بعض القوات لتغطية التكاليف المدرسية لأولاد المنطقة.

> **هنالك نشاطات كثيرة بدأت على شكل مبادرات فردية أطلقها أفراد من قوات حفظ السلام ووحداتها، لكن أصبحت جزءاً من مشاريع اليونيفيل الإنسانية**

يقول حسن: «عندما وصلت اليونيفيل، أقامت حواجز تابعة للأمم المتحدة وفرضت حظراً للتجول، فاضطر أهالي القرى لطلب الإذن منها كلما أرادوا التنقل من قرية إلى أخرى، ولم تكن هذه العملية بالسهلة. لكننا ومع مرور الوقت، لاحظنا كيف أصبح جنود القوات يحمون المزارعين عندما كانوا يحصدون الزيتون، حتى أنهم في بعض الأحيان كانوا يساعدون المزارعين في قطف الزيتون. كل هذه أعمال قامت بها قوات حفظ السلام ليس لأنها تلقّت أوامر بها، بل لأنها اختارت ذلك ولأنهم أشخاص عاديون لا يختلفون عن غيرهم.»

ويضيف أنّ روح التعاون، أو الإعتراف بحسّ الإنسانية الذي يجمعنا كما يقول حسن، قد تطوّر وذلك لمصلحة سكان الجنوب.

«هنالك نشاطات كثيرة بدأت على شكل مبادرات فردية أطلقها أفراد من قوات حفظ السلام ووحداتها، لكن أصبحت جزءاً من مشاريع اليونيفيل الإنسانية. مثال على ذلك هو تقليد التبرع بالهدايا للأولاد في عيد الميلاد، الذي بدأ كمبادرة صغيرة من قبل الوحدة الايطالية للطوافات Italair يوزّع فيها بابا نويل الهدايا على أطفال الجنوب. وفي تلك الفترة لم يكن الايطاليون يتمتعون بأي سلطة على الأرض إذ كانت المنطقة بمعظمها تقع تحت سيطرة الجماعات المسلحة، فقرروا أن ينظموا حفلات في ما بينهم لجمع المال لشراء اللعب والهدايا.»

«في المحاولة الأولى إستطعنا أن نجمع 1000 دولار فقط وكنا بحاجة لشراء 500 لعبة، لذا لم يكن المبلغ كافياً. اقنعنا صاحب محل في صيدا أن يبيعنا ألعاباً مستعملة، وحتى لهذا النوع من الألعاب كنا بحاجة إلى جمع المزيد. غير أنّ صاحب المحل آمن بمبادرتنا وهكذا ابتكرنا أول «بابا نويل شيعي». بعدها أصبحنا نتبع هذا التقليد كل سنة لأننا نرى السعادة التي يبعثها في قلوب أطفال الجنوب، ولحسن الحظ أننا اليوم أصبحنا نملك المال للقيام بأمور إنسانية مماثلة.»

لم يتوقف عمل حسن مع اليونيفيل إلا لفترات قصيرة، أهمها حين خدم مع الأمم المتحدة في العراق، لكنّ حسن كان دائماً يعود إلى الجنوب. وكيف لا يعود إلى المنطقة

حسن يساعد في اجلاء طفل من قرية ياطر 21 نيسان 1996

التي يستطيع فيها بمواهبه ومؤهلاته أن يفيد كثيرين؟

«إنه العمل الذي أبرع فيه، واليونيفيل جزء مني كما أنا جزء منها. مرّت ثلاثون سنة، وأنا ما زلت أتطلع شوقاً...»

تنتهي المقابلة هنا، إذ يضطر حسن للمغادرة. فقد وصل موظف جديد إلى اليونيفيل، وكان ينتظر مقابلة حسن ليعطيه لمحة غير رسمية عن الوضع الميداني. قيل للموظف قبل وصوله: «إن أردت أن تعرف ما يحصل هناك، ما عليك سوى أن تتحدث إلى حسن سقلاوي.»

أري غايتانيس وأندريا تينينتي

نظرة داخلية لليونيفيل

اولاد من مدارس المنطقة يحيّون قوات حفظ السلام عند حاجز في جنوب لبنان ايار 1980

إنضممتُ إلى مقر الأمم المتحدة في تموز من عام 1978، وكانت مهمتي الأولى في اليونيفيل التي خدمت فيها حتى عام 1988، من بينها سنتان في الناقورة. عدت إلى الناقورة في التسعينات حيث تسلّمت حقيبة أوسع حتى عام 2001.

تبقى عادةً للوظيفة الأولى ذكرى مميزة عند المرء، خاصة إن تضمنت العمل الميداني، لذلك أذكر دائماً عملي مع اليونيفيل. لكن في الوقت ذاته، لا بد أن أعترف بأننا كنا نشعر بالإحباط إزاء مهمتنا وبعدم الفائدة خلال معظم تلك الفترة، نظراً للدور البسيط الذي سمح للأمم المتحدة بأن تلعبه، وللقدر القليل الذي استطعنا إنجازه على الأرض.

في كانون الثاني عام 1991، خصص حوالى نصف ميزانية عمليات حفظ السلام في الأمم المتحدة لليونيفيل في الوقت الذي اعتبر ذلك فيه هدراً للمال. في آذار عام 1978، كان تأسيس اليونيفيل يلقى دعماً دولياً كبيراً، أثبته النشر السريع لوحدات الدول المشاركة. لكن باستثناء وقف إطلاق النار الذي تم التوصل إليه بمساعدة الولايات المتحدة الأميركية في صيف عام 1981، لم تحظ اليونيفيل بالدعم السياسي الذي كان ضرورياً لإنجاز مهمتها كما نص عليه قرار مجلس الأمن 425.

أما الأسباب التي أدت إلى هذه النتيجة فلم تكن مخفية. في السنوات الأولى، كانت كل من إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية تتنافس على بسط سلطتها في المنطقة التي كان من المفترض على اليونيفيل أن تحافظ عليها خالية من أي أعمال عدائية. وبعد عام 1982، أصبحت تلك المنطقة ساحة معركة بين مجموعات المقاومة اللبنانية والقوات الإسرائيلية المحتلة والميليشيا اللبنانية التابعة لها. ولم تكن الأمم المتحدة تملك الحق بمنع المقاومة اللبنانية من مواجهة القوى المحتلة، كما لم تتمتع بالسلطة أو بالوسائل اللازمة لمنع الإجراءات الإسرائيلية المضادة، من دون أن ننسى غياب أي أطراف خارجية مستعدة لتغيير الوضع وقادرة على ذلك. حين وصلت إلى الناقورة بحلول نهاية عام 1985 كان الوضع في المنطقة قد تحول إلى توازن هش بين جهتين، حيث كانت تقدم مجموعات لبنانية على شنّ هجومات بحجم صغير ضد المحتلين، الذين كانوا عادةً يردّون بنيران مدفعية ثقيلة.

من الواضح أنّ القتال كان محدوداً في الجهتين، ويمكن استنتاج ذلك بسهولة من عدد الضحايا القليل والضرر المحدود مقارنة بالكمية الهائلة من الذخيرة التي كانت تستهلك، أو من العدد الكبير للسكان الذين صمدوا في قراهم. أتمنى لو بإمكاني القول إنّ هذا كان بفضل اليونيفيل، لكن لا أستطيع أن أقنع نفسي بذلك. فمن جهة المقاومة كان العائق الوحيد بنظري قدرتها المحدودة على القتال، أما من جهة إسرائيل، فلا بد أنّها كانت حريصة على ألا تُجر إلى المستنقع اللبناني من جديد. وأعتقد أنّ استخدام عناصر ما يسمّى «جيش لبنان الجنوبي» في المواقع المتقدمة على الأراضي اللبنانية والذين كانوا

يتلقّون ضربات المقاومة، قد ساعد إسرائيل في المحافظة على مسافة من الجهة الأخرى.

كان هناك عوائق أخرى هامة. فلا شك أنّ إسرائيل كانت قلقة من استخدام القوة المفرطة التي ستكلفها دعماً داخلياً وآخر خارجياً، ولن تكون تلك القوة فعالة بالضرورة بما أنّ المقاومة لم تكن تشكل هدفاً هاماً. وتلك المقاومة، كغيرها من الحركات غير النظامية، كانت بحاجة إلى دعم السكان وإلى التأكد من أنّهم يؤيدونها في أهدافها، وكان هذا عاملاً أساسياً في صيف عام 1986. إنه التاريخ الذي تعرضت فيه اليونيفيل لهجوم منظّم من قبل جماعات لبنانية على أثر حادث جرى عند حاجز في منطقة «معركة» قتلت خلاله دورية تابعة للأمم المتحدة مواطنين لبنانيين. قتل بعدها 10 جنود من اليونيفيل وجرح خمسون، وانسحبت كتيبة المشاة الفرنسية، ولوهلة بدا أنّ قوات اليونيفيل كلها ستنسحب بدورها.

وبما أنّ إسرائيل كانت تستطيع البقاء مع أو بدون اليونيفيل، كان على اللبنانيين أن يفكروا ملياً بموقفهم. كان في لبنان من لم يرضوا بإنهاء الإحتلال الإسرائيلي للأراضي اللبنانية فحسب، بل كان هدفهم أوسع من ذلك، وهو وضع حد للكيان الإسرائيلي. وهؤلاء قد اعتبروا اليونيفيل عائقاً أمامهم، وبالرغم من أنه عائق يمكن تخطيه، لكنهم كانوا ليرحبوا بانسحابها من أجل إخلاء الساحة أمام صراع أوسع. وفي الوقت ذاته، أراد آخرون أن يتخلصوا من الإحتلال لكي يتركوا بسلام، ووجدوا أنّ اليونيفيل قدمت نوعاً من الحل المعتدل الذي سمح لهم بالإستمرار بالرغم من الفعالية المحدودة التي تمتعت بها. وشكّل هؤلاء غالبية السكان في المنطقة، لذا وفي ذلك الوقت، غلبت آراؤهم، فتوقفت الهجمات على اليونيفيل ولم ترحل.

في السنوات اللاحقة، نمت قدرة المقاومة وبالتحديد في استهداف إسرائيل، لكن بقيت وتيرة العمليات بطيئة نسبياً رغم أنّ الهجمات على الأهداف العسكرية الإسرائيلية داخل لبنان أصبحت أكثر فعالية. أدركت إسرائيل أنّ خياراتها محدودة، وغالباً ما كانت تلجأ إلى الردود الرمزية، فكانت مثلاً تقصف أرضاً خالية من اي أهداف. وأبرز الإستثناءات على ذلك كانت عمليات القصف الكثيفة والطويلة في تموز 1993 ونيسان 1996. وفي الأغلب كلّفت أعمال القصف عام 1996 رئيس الوزراء الإسرائيلي وقتها الإنتخابات، وهذا مثال على الكلفة السياسية التي ترتبط باستخدام هذا المستوى من القوة. بحلول تلك الفترة، كانت «قواعد اللعبة» قد تغيرت وترجمت أخيراً في تفاهم عقد في نيسان عام 1996 وكانت فكرته الأساسية تقضي بأن تتعهد المقاومة بألا تقصف الداخل الإسرائيلي، بينما تتعهد إسرائيل بألا تستهدف المدنيين في لبنان.

لطالما أعجبت بفضيلة الصبر التي أظهرها أهل الجنوب بتعاملهم مع اليونيفيل عبر السنوات. صحيح إنّ اليونيفيل شكّلت عاملاً أساسياً لتحقيق الإعتدال في الوضع وأنها وفرت نسبة من الحماية، كما ساهمت بفوائد إقتصادية وبمساعدات إنسانية إلا أنها من جهة أخرى، تمركزت في أرض عانت طويلاً من إهمال الحكومة لها، فأعاقت حركة الأشخاص والبضائع، وأخضعت الجميع للمضايقة ولأعمال التفتيش والمراقبة المستمرة عند حواجزها. كانت اليونيفيل مضطرة للقيام بكل هذا من أجل تنفيذ مهمتها، لكن هذا لم يجعلها مقبولةً أكثر عند المزارع الذي يجلب منتجاته إلى السوق أو الموظف الذي يحاول أن يصل إلى عمله من دون تأخر. كما وسبّب وجود اليونيفيل الشعور الطبيعي بالتوتر الذي ينتج عن تواجد جنود في مجتمع قروي، فليس من الطبيعي أن تتمركز قوات أجنبية حول منزلك، بغض النظر عن سبب وجودها.

هويتر يلتقي قائد حركة امل في المنطقة آذار 1986

مضى وقت طويل على انسحاب القوات الإسرائيلية، واليوم انتشر الجيش اللبناني في الجنوب لكي يعمل إلى جانب اليونيفيل للحفاظ على وقف إطلاق النار. تسعى القوتان لكي تتجنبا أن يتحول جنوب لبنان من جديد إلى أرض معركة. وكما في عام 1986، الأمر يعتمد على سكان المنطقة، وحالياً يصعب أن نتوقع متى ستنتفي الحاجة لمساهمة اليونيفيل. آمل ألا يستغرق الأمر ثلاثين سنة أخرى، كما آمل أنه عندما تحين ساعة المغادرة، سيفترق شعب الجنوب واليونيفيل كما يفترق الأصدقاء.

يواكيم هويتر

قوات حفظ السلام واللبنانيــون، شعـب واحـد

يجسّد اليونيفيل بطرق عدة ولأسباب كثيرة، أولها أنه انضم إلى هذه المهمة ليخدم ستة أشهر، فبقي فيها لمدة 24 سنة. خلال معظم سنوات اليـونيفيـل في لبنان، شكّل تيمور غوكسيل الوجه الإعلامي لها، إذ عمل كمتحدث باسمها إبتداءً من عام 1979، وكمستشار أعلى منذ عام 1995. ها هو بعد تقاعده عام 2003 يقيم في بيروت، حيث يلقي المحاضرات في عدة جامعات لبنانية حول السياسة الدولية والأمم المتحدة ومفهوم حفظ السلام.

تحدّث تيمور غوكسل إلى رئيس التحرير نيراج سينغ من مجلة «الجنوب»، فكشف له عن نواحي يصعب إدراكها في ما يسمى بـ«حفظ السلام»، فكيف إذا تطبّق هذا المفهوم من خلال أشخاص لا يتصرفون إلا بناءً على دوافع إنسانية متأصلة فيهم كلما شعروا بوجود حاجة ما لدى الناس الذين يخدمون؟ إليكم القصة الحقيقية لنجاح اليونيفيل.

سينغ: تأسست اليونيفيل واضطرت أن تجد لها مكاناً بين مختلف الجماعات المسلحة، لتجد ان الجيش الاسرائيلي عاد وبقوة الى الواجهة منذ عام 1982. فما الذي استطاعت اليونيفيل أن تحققه خلال تلك السنوات؟

غوكسل: ما حققته أولاً هو إعادة الوضع الطبيعي إلى المنطقة، وإعادة الناس إلى بيوتهم. لدى وصولنا كان في جنوب لبنان حوالى 10 آلاف شخص، وخلال ثلاث سنوات أصبحوا نصف مليون.

جاءت اليونيفيل بمهمة محدودة تفتقر إلى الدعم السياسي إلا من مجموعة صغيرة من البيروقراطيين المتفانين في الأمم المتحدة. لكن اثبتت اليونيفيل مرونتها وقدرتها على الصمود بالرغم من خسارتها لأكثر من 100 جندي خلال تأدية مهامهم (من بين مجموع 250 قتيلاً). هذا بحد ذاته إنجاز كبير.

أما سر النجاح الحقيقي الذي بقي بعيداً عن الأنظار، فهو كيف أصبحت قوة اليونيفيل هذه جزءاً من الأرض، وأسست روابط صلة مع الذين أهملتهم الدولة ولم تقدم لهم أي خدمات. كيف استطاعت أن تكسب ود هؤلاء الناس وتساعدهم على إعادة بناء حياتهم وتحويل منطقة مهجورة إلى مكان آمن ومزدهر خلال التسعينات: هذا هو سر نجاح اليونيفيل.

كيف تحقق هذا الأمر؟

لم نتمتع بأي سلطة اقتصادية أو عسكرية، لكنّ الناس أدركوا هذا الأمر وتفهموه. عملنا على إعادة اصلاح كل شيء في الناقورة من أجهزة الكمبيوتر إلى المكاتب وغيرها لنقدمها للناس. إهتم الجنود بدهن المدارس وتشغيل مضخات المياه، وتوفير البنزين لمضخات القرى التي كانت فارغة منها قبلاً.

خلال الإجتياح الإسرائيلي عام 1982، عرفت صور أزمة إنسانية، إذ حاصر الجيش الإسرائيلي الآلاف عند الشاطئ من دون مياه أو طعام. ورغم أنّ صور كانت خارج منطقة عملياتنا، لكننا نظمنا دوريات غوث من موظفين في اليونيفيل تطوعوا لتوفير الطعام والعلاج الطبي. هكذا بدأت العلاقة بين اليونيفيل وصور، وحين خرج الإسرائيليون عام 1985 قدّم لنا أهالي صور منازلهم من دون مقابل، وأسسنا فيها مكتباً.

لم تخل مهمتنا من المراحل الصعبة، كالفترة ما بين عامي 1983 و1985 حين قاد الإسرائيليون عملية «القبضة الحديدية» ضد المقاومة من خلال الإغارة على القرى. كنت أصطحب المراسلين الأجانب إلى القرى مما اجبر الإسرائيليين على توخي الحذر. وأذكر أيضاً خلال الغارة على قرية برج رحال عام 1983، أنّ الجنود الفرنسيين وقفوا على سقوف بعض المنازل لمنع الإسرائيليين من تفجيرها.

دارت في الجنوب حرب خداع، وكانت خلالها اليونيفيل متمركزة في القرى، تعيش وسط

خلال إلقاء بيان صحفي

الناس. كانوا جيراننا فكيف لا نحميهم؟

لا بد أنّ الإنسحاب الجزئي للقوات الإسرائيلية عام 1985 قد بدّل طبيعة علاقتكم مع السكان المحليين. كيف حصل هذا؟

تغيرت طبيعة العلاقة لكننا استمرينا بمساعدة الناس حتى في المناطق التي بقيت تحت الإحتلال. وأعطي مثالاً على ذلك حقول الزيتون، إذ كانت حقول الزيتون الموجودة عند الخط الفاصل ما بين جيش لبنان الجنوبي والمقاومة، الأفضل من نوعها في لبنان. عجز المزارعون عن الوصول إلى حقولهم بسبب خطر نيران جيش لبنان الجنوبي، فأرسلنا جنود اليونيفيل لمرافقتهم حاملين أعلام الأمم المتحدة. كانت هذه «دوريات حصاد الزيتون». وفرنا المساعدة حتى في جهة المنطقة المحتلة حيث قرية «بيت ليف» المعروفة بمعاصر الزيتون فيها، لكنها كانت متوقفة عن العمل بسبب حاجتها إلى الطاقة. فكنا كل سنة نؤمّن لهم مولّداً لتشغيل معاصر الزيتون.

كلما تعرّض أحد لإطلاق النار عند الخط الأمامي للحدود ومُنع على أي مدني الوصول إلى تلك المنطقة، لذا كان يذهب عناصر اليونيفيل لانتشال الجثث وتسليمها إلى الأهالي. إنها

إنّ سر النجاح الحقيقي الذي بقي بعيداً عن الأنظار، هو كيف أصبحت هذه القوة جزءاً من الأرض، وكيف أسست روابط صلة وثيقة مع الذين أهملتهم الدولة ولم تقدم لهم أي خدمات، وكيف استطاعت أن تكسب ود هؤلاء الناس وتساعدهم على إعادة بناء حياتهم.

تضحيات لا يمكن للناس أن ينسوها.

مثال آخر هو قوات حفظ السلام النروجيون الذين حوصروا فاضطروا لتدبر أمرهم بانفسهم. أوجدوا في منطقتهم مثالاً مصغراً عن النروج فكانت المنطقة الوحيدة في جنوب لبنان التي وضعت فيها قواعد السير. لقد أصرّ النروجيون على استحداثها واحترم الناس رغبتهم بسبب الخدمات والمنافع الإقتصادية التي قدموها للمنطقة. ووجد في قرية إبل السقي أفضل سوق للمجوهرات والثياب في لبنان، كما عرفت المنطقة حوالى 70 زواجاً مختلطاً بين النروجيين واللبنانيين.

ومن أبرز المظاهر الإنسانية التي رأيتها على الإطلاق، حين كان الايرلنديون من قوات حفظ السلام يلازمون الاولاد في ميتم تبنين ويلعبون معهم خلال تعرض المنطقة للقصف، لكي لا يصابوا بالصدمة جراء هذه الأحداث.

كيف تعاملتم مع المقاومة المنظمة في منطقة عملياتكم؟

أقمنا قنوات ارتباط مع كافة المجموعات فقد توجب علينا أن نتعامل معها مع غياب كل مظاهر ودور الحكومة عن المنطقة. وحين بدأ الإنشقاق بين الشيعة ومنظمة التحرير الفلسطينية عام 1981، طلبت حركة أمل التواصل المباشر معنا فأسسنا مكتب الارتباط معهم. أصبحت «أمل» من أكبر مؤيدينا حتى أنها حاربت من أجلنا.

إختلفت المعادلة كلياً في جنوب لبنان عند الإجتياح الإسرائيلي عام 1982. سرّ سكان جنوب لبنان حين اعتقدوا أنّ الإسرائيليين سيخرجون الفلسطينيين، لكن سرعان ما أدركوا أنّ إسرائيل لا تنوي المغادرة، وقرروا إنه حان الوقت للمقاومة.

ظهر حزب الله القادم من الشمال، من دون أن يفهم سبب العلاقة الودية بين هؤلاء الجنود الأوروبيين والسكان هناك. لذا كانت أواخر الثمانينات فترة صعبة بالنسبة إلى اليونيفيل، وهي الفترة التي خطف فيها رئيس لجنة المراقبة في لبنان، وقتل.

حدثت نقطة التحول مع عقد اتفاق دمشق بين حزب الله وأمل، وتحديداً بعد سنة من تسلّم السيد حسن نصر الله قيادة حزب الله عام 1992. فكان هذا الأخير من الجنوب وعلى معرفة باليونيفيل، وأول ما قام به هو تعيين ضابط ارتباط للتواصل معنا.

يبقى التحول الأهم مع الجيل الجديد من الجنوبيين الذين انضموا إلى حزب الله. إنهم هؤلاء الذين ترعرعوا مع اليونيفيل، إنهم ذاك الصبي الذي ولد عام 1980 وأصبح مقاتلاً في حزب الله عام 1998، فعرف اليونيفيل لمدة 18 سنة. لعله قصد المدرسة التي تبرعت اليونيفيل بدهنها، أو يكفي أنه استفاد من خدماتها حتى لا يفكر قط في التسبب بالأذية لها. هكذا الاستقبال الايجابي اللبناني للأجانب، والذي ينشأ لديهم بالفطرة.

كيف كان الوضع بعد الإنسحاب الإسرائيلي عام 2000؟

فاجأنا الإسرائيليون بسرعة الإنسحاب، فأرسلنا دورياتنا لطمأنة الناس. في الوقت ذاته أرسلت مديرية المخابرات في الجيش اللبناني حوالى 20 إلى 30 من عناصرها بثياب مدنية، فكان وجودهم فعالاً ولقي احترام الناس من حولهم. توقع الجميع حمامات من الدم بعد خروج إسرائيل، لكنّ المنطقة بقيت هادئة بغياب أي جهاز شرطة أو جيش، لا تعرف أمنياً سوى بعض آليات اليونيفيل التي تتنقل على طرقاتها لكن من دون أي ضغوط.

هرب حوالى 6000 شخص إلى إسرائيل خوفاً من العقاب، لكنهم بدأوا يعودون بغضون اشهر. فكنا ننقلهم من الحدود ونسلّمهم إلى مديرية المخابرات في الجيش اللبناني في مرفأ الناقورة، حيث كان يرافقهم الجيش اللبناني وأحياناً حزب الله إلى منازلهم. قضى بعضهم اشهراً قليلة في السجن، وكانت هذه أقصى الأحكام التي صدرت عليهم. مرة أخرى وجد اللبنانيون الحل على الطريقة اللبنانية.

أدّت اليونيفيل دورها من خلال التواجد في المنطقة والتحرك سريعاً نحو بعض القرى التي لم نقصدها سابقاً، ففي كل الأحوال، لم يكن يتوقع منها الكثير في تلك المرحلة.

نشرت لاحقاً قوة مشتركة من الجيش اللبناني والدرك تحت قيادة الشرطة. وكان وجودها رمزياً إذ راقبت الطرق الرئيسية واتمّت واجبها جيداً لذا بدأ التوجه نحو التقليص من حجم اليونيفيل نحو 1200 عنصر، وإذا بحرب تموز 2006 تضرب لبنان.

تيمور غوكسل

كثيرة كوارث الدنيا، وكذلك أشكال النجدة

جهينة (الى اليمين) مع امها في منزلهما في صور آذار 2008

© اليونيفيل

كانت جهينة الشابة تحب الحياة حباً تحدى الإهمال والدمار اللذين حلا بمدينتها صور، وأصبحا بحلول عام 1988 يشكلان الواقع المؤسف في جنوب لبنان. كانت جهينة لا تزال في العقد الثاني من عمرها حين عاشت الحروب والإحتلال والتهجير والدمار التي تلتها إعادة الإعمار والبناء. ثم ما لبثت أن شهدت سلسلة أخرى من الحروب والخراب تبعتها حالة النهوض والبناء.

كيف بإمكان شابة أن تتواجد وسط عشرات الجماعات المسلحة التي تتقاتل فيما بينها وتقاتل المحتل الإسرائيلي في الوقت ذاته ولا تصاب بالإرباك؟ وكيف لا ترى الحافز الذي جعل جنوداً يأتون من الجهة الأخرى من العالم نحو منطقة قتال من أجل صنع السلام، أمراً غامضاً؟ لم يكن من المستغرب بالنسبة لشابة ترعرعت وسط عنف بين الأقرباء لا يعرف الرحمة، أن تجد صعوبة في استيعاب القيم الإنسانية العالمية التي تشكل أساس الأمم المتحدة.

لم تكن جهينة تعلم أنها ستخوض معركة قاسية من أجل إنقاذ حياتها، تمتد لعشرين سنة، وتستمر حتى يومنا هذا. كان صراعاً إستطاعت أن تتخطاه أولاً بفضل عزمها الذي نشأ من الضيق، وهو عزم يتميز به أهل الجنوب، وثانياً بفضل المساعدة التي وفرتها اليونيفيل. كان صراعاً منحها حياة جديدة واكتشافاً للحس الإنساني الذي يتخطى كافة الحواجز العقائدية.

أثارت قصة جهينة فضولي ورغبت بمعرفة المزيد عنها، فزرتها في منزلها المتواضع في منطقة «المساكن الشعبية» في صور. قالت لي حتى قبل أن أبدأ بأسئلتي: «إن كنت اليوم على قيد الحياة، فذلك بفضل اليونيفيل». إنه واقع بسيط عبّرت عنه بكل صراحة وهي تنظر إلي نظرة صادقة مؤثرة، وهي التي شارفت على الموت فنجت.

وتابعت جهينة: «عام 1988 أصبت بحروق بالغة نتيجة انفجار موقد.» أدخلت إلى إحدى مستشفيات بيروت لكن لم تستطع عائلتها أن تتحمل كلفة العلاج. قالت: «كنا مزارعين فقراء نعيش من تعبنا اليومي. وكانت أمي قد باعت البقرات الثلاث التي نملكها والتي تشكل مصدر دخلنا الوحيد، لكن رغم هذا لم نجمع المبلغ الكافي من المال.»

إن كنت اليوم على قيد الحياة، فذلك بفضل اليونيفيل

بعد ثلاثة أشهر، أبلغت إدارة المستشفى والدة جهينة بضرورة نقلها إلى المنزل. «كان من غير الممكن حتى أن أموت في المستشفى، لأننا لم نكن نملك أجرة سيارة إسعاف لنقل جثتي من بيروت إلى صور».

عادت جهينة إلى المنزل، وهناك ازدادت حالتها سوءاً. كانت تفقد الوعي من شدة الحرارة، وبدأت تفقد الذاكرة. «استيقظت في أحد الأيام فوجدت نفسي على سرير مستشفى. وعندما سألت عن مكاني، قالوا لي إنه المستشفى الميداني في الناقورة».

قاطعتنا والدة جهينة وقالت: «كان لقوات اليونيفيل مكتب في صور وهو المكتب اللوجستي والإعلامي. قصدته طالبة المساعدة لابنتي وكنت أعلم أنّه ليس لليونيفيل مستشفى خاص لعلاج الحروق، لكنّ الأم لا تفقد الأمل أبداً. وعلمت أنه لو عاينها طبيب أجنبي، سأشعر بأنني أرسلتها للعلاج في الخارج».

بعد يومين زار منزلهما طبيب من اليونيفيل يرافقه مترجم. وقالت الوالدة:» أتذكره بشكل واضح. كان اسمه أندرسن وكان سويدي الجنسية. طلبت منه فقط أن يمنحها العلاج المناسب في المنزل لو استطاع، لكنه رفض التخلي عنها وقال وهو يبكي ويرتجف بأنه سوف ينقلها إلى المستشفى الميداني في الناقورة. في البداية شعرت بالخوف لأن الناقورة كانت تقع ضمن منطقة الإحتلال الإسرائيلي وسبق لنا أن خضنا معاناة التهجير من قريتنا بنت جبيل إلى صور. فطمأنني الطبيب بأنّ اليونيفيل ستؤمّن لابنتي النقل الآمن. وبالفعل بعد ساعات نقلت ابنتي من منطقة صور بواسطة طوافة إلى مستشفى الناقورة».

تتذكر جهينة الفترة التالية فتروي لنا: «كان الفريق الطبي السويدي في اليونيفيل بغاية اللطف معي. فكانوا يقلّمون أظافري كل يوم، ويسمعونني الموسيقى، وكنت أشعر بأنني جزء لا يتجزأ من عائلتهم. بعد أسبوع فقط زال الخطر عني كلياً لكن ما زلت اليوم وبعد عشرين سنة، أخضع لعمليات جراحية في عنقي ويدي».

خضعت جهينة حتى الآن لـ25 عملية جراحية، وبدأت تخرج من منزلها منذ ثلاث سنوات فقط. تزور جهينة الأصدقاء وتطلب المساعدة لإجراء العمليات الأخيرة ليدها اليمنى، والتي من دونها ستضطر لبترها.

أمنية جهينة الوحيدة أن تعيش حياة طبيعية وأن تساهم في المجتمع كغيرها من الفتيات، وتأمل أن يلقى نداؤها الجواب.

حسن سقلاوي

تجربتي مع اليونيفيل

العميد ماهر طفيلي

لأنّ الذكريات لا تدوم طويلاً في ذهن المرء، ولأنّنا نستضيف اليونيفيل منذ زمن طويل، غالباً ما كنت أسمع هذا السؤال: «ما الذي حققته اليونيفيل؟» لكن ولأنني عملت بشكل وثيق مع اليونيفيل خلال معظم سنواتها الثلاثين، أفضّل أن أسأل: «كيف كان الجنوب ليبدو عليه اليوم من دون اليونيفيل؟

طوال هذه السنوات الثلاثين، وقفت قوات حفظ السلام إلى جانبنا في الأزمات، وشاركتنا آلامنا ومعاناتنا، وقدّمت المساعدة للناس على قدر ما استطاعت. حتى أبسط بادراتها الإنسانية كانت تحدث فرقاً كبيراً وهي اكثر من ان تحصى. لكن، دعوني اروي لكم جزءاً من تجربتي الشخصية عن العلاقة الطويلة التي جمعتنا مع اليونيفيل.

عام 1978، العام الذي تأسست فيه اليونيفيل، كنت ملازماً في الجيش اللبناني وكانت وظيفتي في فرع مخابرات الجنوب. كنت مكلّفاً بالتواصل المستمر مع قيادة هذه القوات وكانت تجري اجتماعاتنا في مركز الطوارئ في مدينة صور. هناك بحثنا بصورة دائمة في كافة المواضيع التي قد تسهّل عمل هذه القوّات من حيث انتقالها وتمركزها وأمنها وتواصلها مع اللبنانيين. وبحثنا كذلك في طرق تقديم العون للمواطنين خاصةً في المجالات الإنسانية كالطبابة والتغذية. كما عملنا على حلّ جميع المشاكل الطارئة التي كانت تحصل يومياً بين هذه القوّات وبعض العناصر المسلّحة المتواجدة في تلك البقعة.

عيّنت ما بين 1989 و1999 رئيساً لقسم مخابرات الجنوب، وحافظت على التواصل الدائم مع قيادة اليونيفيل. عام 1998، إنتقلت من الجيش إلى أمن الدولة، حيث عيّنت منسّقاً لأعمال الحكومة اللبنانية مع اليونيفيل.

تجلّى هذا التعاون والتنسيق بشكل عملي وفعال خلال عملية «تصفية الحساب» الإسرائيلية في العام 1993، التي كان من نتائجها تدمير آلاف المنازل وتهجير مئات الآلاف من سكان الجنوب باتجاه الشمال وتدمير البنى التحتية من طرقات وجسور ومحطات كهرباء وماء. ساعدت اليونيفيل في حماية المدنيين وعملت على انتشال الجثث ومعالجة المصابين وتأمين المواد الغذائية للمحتاجين وفتح الطرقات وجرف ركام الأبنية المهدّمة.

العميد طفيلي في الميدان مع لجنة مراقبة «تفاهم نيسان» أواخر التسعينات

بعد بضع سنوات، شنّت إسرائيل عملية «عناقيد الغضب» في العام 1996، حيث قتل مئة وعشرون مدنياً و جرح اكثر من 500. وكانت معظم الإصابات نتيجة لتعرض المدنيين الذين التجؤوا الى مركز اليونيفيل في قانا للقصف المدفعي الإسرائيلي. مرة أخرى وقفت اليونيفيل إلى جانب الناس، مستخدمةً كل الموارد التي توفرت لها من أجل المساعدة في إجلاء الجرحى وتأمين الرعاية الطبية لهم. كما ساهمت في مساعدة المواطنين للعودة الى منازلهم، وإزالة الألغام والقذائف الإسرائيلية غير المنفجرة وتأمين المياه والمولدات الكهربائية للمناطق المحتاجة.

بعد عملية «عناقيد الغضب» تشكّلت مجموعة تفاهم نيسان سنة 1996 من الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا وإسرائيل وسوريا ولبنان بهدف مراقبة الإمتثال للإتفاق ما بين إسرائيل وحزب الله. فقد اتفق هذان الطرفان على وضع حد للإعتداء على المدنيين عبر الحدود وعلى وقف استخدام القرى المدنية لشن الهجمات.

كنت رئيساً للوفد اللبناني في هذه المجموعة التي استمر عملها حتى العام 2000. وقد لعبت اليونيفيل دوراً هاماً وفعّالاً في إنجاح عمل المجموعة من خلال توفير الدعمين اللوجستي والأمني، فخصصت لنا غرفة للإجتماعات في الناقورة واهتمت بنقل الوفود وتوفير الغذاء والرعاية الطبية وغيرها.

لم تقتصر مساهمة اليونيفيل على الدور العسكري أو الأمني كما تقضي مهامها، بل أفادت المنطقة بشكل بالغ من الناحية الإقتصادية. أقامت اليونيفيل علاقات ودية إستمرت على مر السنوات حتى أحدثت تبادلاً ثقافياً بين القوات وأهل الجنوب وتقبلاً أفضل لمختلف العادات والتقاليد. فتعلّم اللبنانيون لغات جديدة بينما تعلّم أفراد اليونيفيل بعض المفردات اللبنانية وسجّلت حالات كثيرة من الزواج المختلط.

أتمنى أن تتوّج هذه العلاقة الناجحة بين اليونيفيل وسكان جنوب لبنان بالاستمرارية والديمومة.

العميد ماهر الطفيلي
رئيس فرع مخابرات الجنوب سابقاً
رئيس الوفد اللبناني في لجنة مراقبة تفاهم نيسان

تحديد الخط الازرق

عنصر من قوات اليونيفيل يحدد الخط الازرق قرب بلدة الحمرا ايار 2001

عيّن الجنرال جيم سرينان نائب قائد قوات اليونيفيل في الفترة ما بين أيار 1999 وآب 2000، حاملاً سجلاً حافلاً من الخبرة في مجال حفظ السلام منذ عام 1967 في قبرص وصحراء سيناء ومرتفعات الجولان. عمل الجنرال سرينان سابقاً مع اليونيفيل في مناصب مختلفة كقائد سرية عام 1985 وقائد كتيبة عامي 1994-1995، لذا كان الشخص المناسب بالنسبة لليونيفيل للإشراف على ترسيم خط الإنسحاب بعد خروج إسرائيل من لبنان في أيار عام 2000. قلّده رئيس جمهورية لبنان ميدالية الأرز الوطني برتبة قائد تقديراً لجهوده، وهو يحمل أوسمة مختلفة خلال مناصب القيادة العديدة التي تولاها في ايرلندا إلى أن تقاعد في حزيران الفائت من منصب رئيس أركان قوات الدفاع الايرلندية.

بادر عمر عبود من مجلة «الجنوب» إلى الاتصال بالجنرال سرينان للحصول منه على تجربته وعمله مع اليونيفيل خلال هذه المدة.

الجنرال جيم سرينان

عبود: حين ابلغت حكومة إسرائيل الأمم المتحدة نيتها بالإنسحاب من جنوب لبنان، هل كان القرار مفاجئاً لليونيفيل؟

سرينان: لا، لم يكن قرار الإنسحاب مفاجئاً، فالجدال حول مسألة الإنسحاب كان يدور في إسرائيل منذ مدة طويلة، حتى أصبح من الواضح أنّ رئيس الوزراء باراك يفضّل الإنسحاب. وسط تلك الظروف، لم يكن من المتوقع أن يتأخر بدء عملية الإنسحاب، لكن كان يجري الإعداد للأمر لذا لم نفاجأ به. لقد دعا قرار مجلس الامن 425 إلى انسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان واقتضى من اليونيفيل أن تؤكد هذا الإنسحاب، لذا لطالما كان هذا الإحتمال وارداً في خطة اليونيفيل للحوادث غير المتوقعة. أنا متأكد من أنّ أحداً في الأمم المتحدة عام 1978 لم يعتقد أنّ الإنسحاب الإسرائيلي سيحدث في الألفية المقبلة. في 17 نيسان 2000، أبلغت إسرائيل الأمم المتحدة رسمياً نيتها بالإنسحاب، وعندها قلة هم من توقعوا أنه في 25 أيار، ستعلن إسرائيل أنّ الإنسحاب قد تمّ.

هل تعتقد أنّ الوضع على الأرض، أي التطورات في لبنان والظروف الإقليمية بشكل عام، أدّت إلى قرار الإنسحاب هذا؟

مع اتجاه الرأي العام في إسرائيل نحو الإنسحاب، كان من الطبيعي أن يبدأ الجيش الموكّل من إسرائيل أي جيش لبنان الجنوبي، بالتفكير بجدية في مستقبله. فعلى الجبهة الإقليمية، كان الأمل بإحراز تقدم ملموس في القضية الفلسطينية لا يزال موجوداً، ولا شك أنّ الانسحاب الإسرائيلي من لبنان سيسهّل هذا الأمر. وعلى جبهة أوسع، من الصعب جداً أن تلقى الدعم الدولي حين تكون محتلاً لأرض سواك، لذا كانت إسرائيل تتعرض لضغط شديد.

ما هي المعلومات والوثائق التي اعتمد عليها فريق رسامي الخرائط التابع للأمم المتحدة لتحديد موقع خط الإنسحاب؟ هل كانت هناك تحفظات من أي من الجهتين، وما هي؟

كانت مهمة فريق رسامي الخرائط تقضي بأن يرسم خطاً يتوافق مع حدود لبنان المتعارف عليها دولياً، بناءً على أفضل المواد المتوفرة من وثائق وخرائط. وكان من الواضح منذ البداية أنّ الحدود الدولية ستقوم على الأسس القانونية المتوفرة والتي يمكن العثور عليها في أي مواد مرتبطة باتفاق 1923 الذي جرى بين فرنسا وبريطانيا وكان بعنوان «خط الحدود بين سوريا وفلسطين من المتوسط ونحو الحمة»، أو مرتبطة باتفاقية الهدنة العامة بين لبنان وإسرائيل عام 1949. بدأ البحث عن المواد في لندن وباريس وواشنطن ومقر لجنة مراقبة الهدنة في القدس، وطلبت المساعدة في ذلك من الجهتين. أما الصعوبات التي واجهها فريق رسامي الخرائط، فكانت أنه لم يتم العثور على خريطة واحدة معتمدة بالنسبة للإتفاق الفرنسي الانكليزي لعام 1923، أو على أي أثر لإحداثيات جغرافية، بل وجدت بعض الفروقات البسيطة ◁◁

ضباط من اليونيفيل والجيش اللبناني يعملون معاً على تحديد الخط الازرق قرب قرية الغجر آب 2001

> **حين تنجز عملية مع طرفين، وفي النهاية لا يكون أي منهما راضياً، قد تعتبر نفسك في موقع يساوي بينهما، لكن لا يمكن أن تكون مسروراً من النتيجة. أما حين تحصل على موافقة الطرفين مع بعض التحفظات... فلا بد أن تعتبر أنّ عملك كان يستحق العناء.**

في الخطوط المرسومة في النسختين الفرنسية والانكليزية. ومن بين العقبات الأخرى التي واجهوها، تقديم الطرف اللبناني لمواد هامة جداً في الوقت غير المناسب، أي بعد أن توصل القسم الخاص برسم الخرائط إلى أول خريطة يمكن العمل عليها، ما اضطر الفريق إلى مراجعتها. ونظراً إلى أنّ المعلومات التي ستعتمد كأساس هي ذات قيمة عالية، وأنّ هذه العملية ليست مسحاً شاملاً بهدف إنشاء حدود دولية، لم يكن من المحتمل تحقيق الرضى التام لدى الطرفين. في النهاية، قبل الطرفان الخط المرسوم مع الإشارة إلى بعض التحفظات.

هل يمكنك أن تشرح لنا عملية التأكد من انسحاب إسرائيل، والطريقة التي اعتمدها فريق الأمم المتحدة لرسم الخرائط من أجل تحديد خط الإنسحاب؟

في ما يتعلق بالتأكد من الانسحاب الإسرائيلي، أشعر بأنّ التشديد على الصعوبات التي واجهتنا في تحديد خط الإنسحاب، كان مبالغاً به. هناك ثلاث نواحي في عملية تأكيد الإنسحاب، تتعلق الأولى منها بانسحاب كافة القوات الاسرائيلية من مدنيين ومسلحين من كل الأراضي اللبنانية، والثانية بتفكيك ميليشيا جيش لبنان الجنوبي بهيكلية قيادته وبنيته اللوجستية، والثالثة بعودة كافة المعتقلين في «الخيام» إلى السلطات اللبنانية الشرعية. ركزنا في البداية على مسألة التحقق من خروج القوات الإسرائيلية من مواقعها ومجمعاتها، مما تطلّب دوريات مصفحة قوية معززة بفرق مهندسين للتعامل مع خطر الالغام. إنه خطر إستخف به كثيرون من السكان المحليين، فدفعوا الثمن غالياً. وتوجب علينا أيضاً أن نتابع ما يحدث بمسألة أسلحة جيش لبنان الجنوبي الثقيلة، فجرى ذلك بالتنسيق مع السلطات اللبنانية. وبالرغم من أنّ اليونيفيل لم تلعب دوراً ناشطاً في إطلاق الأسرى من سجن الخيام، لكنها راقبت التطورات هناك وكانت راضية جداً عن النتيجة. ولو لم تكن القوات الإسرائيلية قد انسحبت بالفعل من الأراضي اللبنانية، لما كان بالإمكان العمل على خط الإنسحاب، لأنّ الأعمال العدائية كانت ستستمر من دون شك. كان ترسيم خط الإنسحاب ضرورياً من أجل إحراز التقدم في هذه العملية وللتأكد من أنّ القوات الإسرائيلية قد خرجت من كافة الأراضي اللبنانية، لكن ينبغي ألا ننسى عملية التحقق من هذا الأمر والتي سبقت ترسيم الخط. أما الوسيلة التي اعتمدها فريق رسامي الخرائط فكانت استخدام العلامات على امتداد الخط على الأرض، وإنشاء إحداثيات لهذه العلامات.

ما هي بعض التحديات التي واجهتها اليونيفيل خلال هذه العملية؟

إنّ رسم خط على الخريطة يختلف كلياً عن تحديده على الأرض، فكيف لو كانت هذه الأرض وعرة وصعبة بقدر ما كانت عليه منطقة الحدود مع منحدراتها الحادة وحقول الألغام غير المحددة بشكل دقيق وخطر أفخاخ القنابل المنفجرة ومخلّفات الحرب. لم يكن الهدف أن يشكّل خط الإنسحاب حدوداً دولية، وفي عملية تحديده على الأرض إعتمد بعض الجنود على أجهزة نظام «جي بي أس» المحمولة يدوياً وغير الدقيقة، إذ كانت تشير إلى ناقص أو إلى زائد ثماني درجات. كنا نقوم بفحص منطقة معينة حتى أدق التفاصيل ونعلن أنها خالية من أي وجود إسرائيلي، فنكتشف بعد ساعة أنّ هناك آلية إسرائيلية على بعد عشرة أمتار، كانت تمر على الجهة الخاطئة. قد تعتبر هذه الحادثة خرقاً مؤقتاً غير مقصود، لكن ماذا لو كان هذا التحرك عبارةً عن موقع مراقبة من شخصين من دون بنية تحتية ثابتة؟ إذاً لا شك أنّ التحديات كانت كبيرة وتطلبت منا صبراً بلا حدود وروحاً مرحة.

حين تتذكر رسم الخط الأزرق الذي جرى منذ 8 سنوات، كيف تقيّم العملية ونتائجها؟

حين تنجز عملية مع طرفين، وفي النهاية لا يكون أي منهما راضياً، قد تعتبر نفسك في موقع يساوي بينهما، لكن لا يمكن أن تكون مسروراً من النتيجة. أما حين تحصل على موافقة الطرفين مع بعض التحفظات، وحين تضمن انتشار اليونيفيل حتى الحدود وتسهّل انتشار قوى الأمن والجيش اللبناني، لا بد أن تعتبر أنّ عملك كان يستحق هذا العناء. في النهاية، المهم هو أنّ سكان جنوب لبنان وشمال إسرائيل عرفوا حتى عام 2006 السلام والطمأنينة أكثر من السنوات الاثنتين والعشرين السابقة.

الصمـــود من أجـــل الســـلام

العميد جاي براكاش نهرا

في شباط 2006، تولّى جاي براكاش نهرا منصب نائب قائد مهمة حفظ سلام واضحة الملامح، ألا وهي اليونيفيل. لكن الهدوء الروتيني لمهمات «حفظ السلام» الذي عرفه أولاً سرعان ما تزعزع بشكل فظ عند بدء الأعمال العدائية بين حزب الله وإسرائيل خلال تموز وآب 2006. في تلك الفترة مدت اليونيفيل يد المساعدة للسكان المحليين متى استطاعت، بالرغم من أنها كانت تعاني من محدودية كبيرة في تحركاتها ومواردها الأمنية والأساسية. لم تحد اليونيفيل عن مهمتها طوال الحرب التي استمرت على امتداد 34 يوماً عصيباً. والأهم هو أنها مهّدت الطريق نحو جو أمني جديد في جنوب لبنان بعد اتفاق وقف الأعمال العدائية الذي قاد إلى انسحاب القوات الإسرائيلية من جهة، وإلى انتشار الجيش اللبناني من جهة أخرى. وحين تم هذا الإنتشار، كان بدعم من قوة معززة لحفظ السلام.

وجد نائب قائد قوات اليونيفيل العميد جاي براكاش نهرا نفسه وسط هذا المخاض الذي بفعله أصبحت اليونيفيل على شراكة استراتيجية مع الجيش اللبناني. بعد انتهاء مهمته في 19 آذار 2008، وفي طريقه إلى مطار بيروت الدولي، يقدّم لنا العميد نهرا لمحة هامة عن ولايته الحافلة بالأحداث، عبر هذه المقابلة مع رئيس تحرير مجلة «الجنوب» نيراج سينغ:

سينغ: كيف كان الوضع عند وصولك إلى لبنان في شباط 2006؟

نهرا: لدى وصولي، وجدت قوة اليونيفيل صغيرةً لها إجراءاتها المحددة ونمط من النشاطات لا يختلف عن غيره. كان هناك بعض الخروقات للخط الأزرق وبعض الصدامات من وقت إلى آخر، لكن بشكل عام كان الوضع سلمياً ووجدت الناس يتعاملون مع اليونيفيل بالترحيب والتقدير. ميدانياً تمركزت الكتيبة الهندية في الشرق والغانية في الغرب مع فرق أخرى توفر الحماية لقوة اليونيفيل بالإضافة إلى الحماية والدعم الجوي واللوجستي. في المجمل كانت هناك سبع فرق مكونة من 2000 عسكري تؤازرهم مجموعة صغيرة من الموظفين المدنيين.

فجأة وفي 28 أيار 2006، أطلق حزب الله النار على القوات المسلحة الإسرائيلية في الصباح، وردت القوات الإسرائيلية بقصف جوي كثيف خلال النهار. بقي قائد قوات اليونيفيل على اتصال مستمر مع الطرفين، حتى استطعنا التوصّل إلى وقف للأعمال العدائية بحلول المساء. وبعد هذا الحدث، بدا لنا أنّ المنطقة تعود إلى هدوئها الطبيعي.

هل برزت لديكم أي مؤشرات حول نشوب معركة قبل انفجار الوضع في تموز؟

لم تصلنا أي مؤشرات لنزاع بهذا الحجم، بل توقع الجميع أنه بعد أحداث 28 أيار، سيهدأ الطرفان لفترة من الزمن.

في 10 تموز، إجتمعت مع الجنرال داوود، قائد القوة المشتركة (كانت القوة المشتركة المؤلفة من 500 من عناصر قوات الأمن الداخلي و500 من عناصر الجيش القوة الأمنية اللبنانية الوحيدة المنتشرة في الجنوب)، وأخبرني أنهم لا يتوقعون أي أعمال عدائية، على الأقل خلال الموسم السياحي. أعلمني بخطة وصلته من مكتب رئيس الوزراء حول تعزيز انتشار القوة المشتركة بنحو 3000 عنصر. إعتبرنا أنها خطوة ايجابية تشير إلى أنّ

تشكّل «خط أبيض» (من آليات اليونيفيل) بموازاة الليطاني تقدمت تدريجياً باتجاه الجنوب نحو الخط الازرق.

الحكومة تتقدم في عملية بسط سلطتها في الجنوب، لكن بعد أقل من 48 ساعة، إشتعلت الحرب.

لم نتوقع الحرب حتى مع بدء عملية القتال، بل اعتقدنا أنها ستستمر لفترة يومين تقريباً، بما أنّ نمط المواجهة كان يشبه حادثة تبادل النيران التي وقعت في 28 أيار. لم ندرك أنّ الوضع سيطول إلا بعدما رأينا التحركات الميدانية للقوات المسلحة الإسرائيلية بعد أيام.

كيف واجهت اليونيفيل عواقب تصاعد العنف على الأرض؟

شمل الدمار المنطقة بأكملها، وهرب أكثر من 80% من السكان باتجاه الشمال، لكن لم تتوان اليونيفيل عن المساعدة، بل عملت بالتنسيق مع الحكومة اللبنانية على مرافقتهم وعلى نقل من بقي منهم في الجنوب إلى مناطق أكثر أماناً. واستغرقت هذه العملية في بعض الأحيان وقتاً طويلاً، إذ كنا نضطر للتنسيق مع القوات الإسرائيلية من أجل ضمان ممرات آمنة. بشكل عام بقيت وحدات اليونيفيل متمركزة في مواقعها لأسباب أمنية، ولكننا لبينا كل نداء إنساني، أكان لإخلاء المدنيين الجرحى، أو لتوفير المساعدة الطبية أو الطعام والمياه وغيرها، لكن أعاقت تحركاتنا الطرقات والجسور المدمرة.

في بعض القرى كقرية حولا تمكنا من التفاوض مع القوات الإسرائيلية فاستطعنا أن نؤمّن مناطق آمنة كملعب كرة القدم أو قاعة البلدية أو المستشفى. وضعنا ملاّلات مع أعلام الأمم المتحدة هناك وجمعنا المدنيين في تلك المناطق لحمايتهم من أعمال القتال.

في بعض الأحيان، كان المدنيون يتجمعون أمام قواعدنا للإحتماء من القصف. لكنّ قدرات اليونيفيل كانت محدودة في الطعام والمياه، وملاجئها لا تتسع سوى لقوات اليونيفيل. في المقابل عمدنا إلى مواكبة المدنيين إلى ثكنات صور، وهناك اهتم بهم الجيش اللبناني. في البداية، أظهر البعض استياءً من اليونيفيل، لكن سرعان ما أدرك الناس القيود التي تعيق حركتنا.

هل كانت مشكلة الإمدادات لقوات اليونيفيل هماً أساسياً؟

كنا نملك في مواقعنا مؤناً تكفي لحوالى 28 إلى 30 يوماً، لكن لم يكن الطعام مشكلة أساسية بقدر ما كانت عليه المياه والوقود بشكل خاص. لأسباب أمنية إستخدمنا ملالات في إعادة إمداد مواقعنا بالحاجيات الأساسية، وتطلّبت منا عدداً أكبر من النقليات بسبب سعتها المحدودة. لجأنا أيضاً إلى الموارد المحلية كمصادر المياه إن وجدت، وللحصول على المنتجات الأساسية، سمحنا للقادة بشراء الخضار واللحم والفواكه من المنطقة.

سبّب الوقود المشكلة الأكبر بالنسبة إلينا بعد قطع إمداداته عنا وتدمير محطات البنزين المحلية. خلال الأسبوعين الأولين، تمكنّا من إرسال شاحنات وقود على دفعتين من بيروت، ولكن حتى هذه توقفت. وبحلول نهاية حرب الـ34 يوماً، كنا قد استهلكنا كل مخزوننا من الوقود.

ماذا عن أمن موظفي اليونيفيل؟

إستهدف 36 من بين 45 مقراً تابعاً لليونيفيل، بضربات إما مباشرة أو قريبة بشكل خطر، كما سقطت صواريخ داخل 16 مقراً لليونيفيل. لم تكن الأضرار الناتجة عن هذه الضربات بالغة وكان مصدرها في الإجمال القوات الإسرائيلية، لكن أيضاً حزب الله. تعرّض في إحدى المرات مقر الكتيبة الغانية لـ 32 قذيفة هاون خلال ليلة واحدة، لكن أشيد هنا بإجراءات السلامة الجيدة والإنضباط والقيادة الممتازة على كافة المستويات لدى اليونيفيل في ذلك الوقت.

قتل 4 مراقبين عسكريين في استهداف موقع دوريات تابع لمجموعة المراقبين في لبنان في الخيام مما أدى إلى تدميره. كما قتل أحد الموظفين الدوليين وزوجته كانا في مبنى سكني تعرّض للقصف في صور. جرح عدد كبير من عناصر حفظ السلام وقليلة هي المرات التي تفادينا فيها وقوع إصابات خطيرة في صفوفنا.

كان الأمين العام للأمم المتحدة قد أذن لقائد القوات الدولية بإخلاء عناصر مهمة اليونيفيل إن دعت الضرورة لذلك، لكننا صممنا على الصمود حتى النهاية. في الواقع، إستطاعت مهمة اليونيفيل أن تتوسع بسرعة بعد الحرب لأسباب عدة من بينها أنه كان لديها موطئ قدم على الأرض في الأساس.

كيف انتقلتم من تلك المرحلة إلى مرحلة ما بعد الحرب؟

حتى خلال الحرب، لم نتوقف عن بذل أقصى جهودنا لتنفيذ مهمتنا، وتقديم التقارير اليومية حول ما نراه. لم تكن تلك التقارير على دقة تامة بسبب قدراتنا المحدودة في المراقبة والحكم، لكن في الإجمال أعتقد أننا قدمنا تقييماً دقيقاً إلى حد ما.

بعد أربع ساعات فقط من وقف الأعمال العدائية، تمكنا من خلال اتصالات مكثفة عبر فريق الإرتباط من التوصل إلى عقد اجتماع مع ممثلي الجيش اللبناني والقوات الإسرائيلية في رأس الناقورة، فكان أول اجتماع ثلاثي ترأسه اليونيفيل.

إنّ الموضوع الاساسي والذي كان علينا محاكاته فورا كان بلا شك مسألة انسحاب القوات الاسرائيلية والانتشار المتوازي للجيش اللبناني.

ماذا تخللت تلك العملية الإنتقالية؟

واجهنا تحديات أهمها ضمان عدم التقاء الجيش اللبناني والقوات الإسرائيلية من أجل تجنّب أي صدامات محتملة. ناقشنا مع الطرفين تفاصيل الطريقة التي ستتبع، وشكّلت اليونيفيل الخط الفاصل ما بين القوتين.

مع انسحاب القوات الإسرائيلية من كل منطقة، كانت اليونيفيل تتسلم القيادة فيها لتسلّمها بعد 24 ساعة إلى الجيش اللبناني. سلكنا الطرقات التي توفرت لنا، حتى كنت ترى سلسلة من 20 دورية من كل من الكتيبتين تتنقل على مدار الساعة راسمةً «خطاً أبيض (من آليات اليونيفيل) بموازاة الليطاني، وتقدمت تدريجياً باتجاه الجنوب نحو الخط الأزرق، واستغرقنا شهراً ونصفاً لإتمام هذه العملية.

كان السكان خلال تلك الفترة يعودون وبأعداد هائلة إلى قراهم وكانوا أحياناً يلمحون عناصر من القوات الإسرائيلية بجوار منازلهم المدمرة، مما كان يخلق جواً من التوتر وكانت المشاعر قوية والأعصاب مشدودة. وظلت نحو 70 أو 80 بالمئة من قوات اليونيفيل خارج قواعدها ليلاً ونهاراً لأكثر من شهر، تراقب وتفاوض وتحاول تهدئة الوضع.

قاعدة الدوريات في الخيام التابعة للجنة مراقبة الهدنة وهي تظهر مدمّرة بعد القصف الاسرائيلي الذي أودى بحياة اربعة من المراقبين العسكريين تموز 2006

واحة أمل في صحراء التحديات

لم يبق أيتام جنوب لبنان من دون مأوى، لأنّ معلم المدرسة محمد فواز كرّس لهم حياته، غير آبه بالأوقات العصيبة التي مر بها لبنان. كان وسط محاولاته لمنع إقفال الميتم يواجه التحديات والألم والصعوبات المادية، لكن يكسب في المقابل أصدقاء مدى الحياة تتخطى علاقته معهم اختبارات الزمان والمكان.

> **«خلال حرب تموز الأخيرة، كان الايرلنديون والهولنديون والنروجيون على اتصال دائم معنا لكي يطمئنوا على وضعنا. اليوم أصبحوا خارج لبنان، لكنهم سيظلون دائماً نقطة ضوء في ذاكرتنا.»**

فواز (الى اليمين) يتسلم باصاً تبرعت به اليونيفيل لميتم تبنين حزيران 1992

بدأت قصته عام 1978 مع تأسيس اليونيفيل في جنوب لبنان، حين استطاع أن يفتتح ميتماً في تبنين وأن يأوي أكثر من 100 ولد بفضل مبلغ تبرعت به الكتيبة الهولندية. عام 1979، إضطر لإقفاله بسبب تصاعد النزاع، لكنه قام بإجلاء الأولاد إلى مواقع مختلفة في أنحاء لبنان. كادت القصة تنتهي مع نهب الميتم واحتلاله خلال الحرب، حين أفرغ من كل ما فيه، وانتزعت منه حتى النوافذ والأبواب، ووقعت فيه أضرار بالغة.

«حين حاولت أن أعيد فتح الميتم عام 1991، لم أعرف من أين أبدأ، ومن أين أحصل على المساعدة المادية».

جاءه الرد على الفور من قوات حفظ السلام النروجيين والايرلنديين المتمركزين في مخيم في تبنين. لقد وفّروا له المساعدة في إعادة البناء وما تخلّله من عمل هندسي وبنيوي، ومن خلال التبرع بمولّد كهرباء والرعاية الطبية. سرعان ما أصبحت اليونيفيل جزءاً لا يتجزأ من هذا الميتم الذي توفّر فيه الطعام هبةً من الايرلنديين، وغطّى النروجيون معظم الرسوم المدرسية.

«منذ ذلك الوقت، لم يتخلوا عنا مرة، وكان وجودهم يبعث فينا الطمأنينة لأنهم قدموا أكثر بكثير مما تمليه عليهم واجباتهم العسكرية. لا يمكنني أن أقيس مساعدة الايرلنديين بقيمة مادية، بعد أن وقفوا إلى جانبنا خلال أصعب الأوقات. كانوا يقدّمون للأولاد التسلية وراحة البال من خلال الموسيقى والرسوم المتحركة والألعاب حتى أنهم كانوا يتحدثون ويضحكون معهم. كانوا جزءاً من عائلتنا، لا بل كانوا عائلتنا.»

تغطي أروقة الميتم صور عن تاريخه، تظهر في معظمها قوات حفظ السلام خلال مختلف النشاطات. فكانوا مثلاً يصحبون الأولاد بالباص في أنحاء لبنان، وينظمون حفلات لعيد الميلاد ويسمعونهم الموسيقى ويتشاركون الوجبات.

أشار محمد إلى أنّ المساعدة لم تأت من النروجيين أو الايرلنديين فحسب بل أيضاً من وحدات أخرى من اليونيفيل فقال:» لم يتوقف دعم اليونيفيل بسبب رحيل بعض الوحدات، فقد استمرت قوات حفظ السلام السابقة بالتبرع بالمال التكاليف المدرسية والهدايا والثياب وغيرها.»

ظلّ السلام حلماً بعيد المنال، وخلال نزاعين أساسيين ما بين عامي 1993 و1996، غالباً ما وقعت تبنين تحت القصف العنيف. بذل الايرلنديون أقصى جهودهم لكي يبقى المركز آمناً ولطمأنة الأولاد، فلم يتركوهم حين كانت الطوافات الإسرائيلية تغير على المنطقة.

قال محمد والدموع تملأ عينيه: «رفعوا علم الأمم المتحدة على سقف المبنى لكي يعلنوه موقعاً لليونيفيل، ولم يتوقفوا عن تزويدنا بالطعام والوقود. بقيوا إلى جانبنا طوال أيام القصف الستة عشر ينامون على الأرض. ولكي لا يشعر الأولاد بالقلق، كانوا يسمعونهم الموسيقى بينما يدور النزاع في الخارج. كيف لي أن أنسى الايرلندي الذي عرّض حياته للخطر حين قاد شاحنة ملأى بالوقود إلى الميتم بينما كان الإسرائيليون يقصفون المنطقة؟»

«خلال حرب تموز الأخيرة، كان الايرلنديون والهولنديون والنروجيون على اتصال دائم معنا لكي يطمئنوا على وضعنا. اليوم أصبحوا خارج لبنان، لكنهم سيظلّون دائماً نقطة ضوء في ذاكرتنا.»

يشعر اليوم محمد بالقلق الشديد حول مستقبل الميتم:»لم نكن يوماً منتمين إلى أي حزب أو مجموعة سياسية، واعتمدنا في التمويل والمساعدة على قوات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والسفارات والجمعيات الخيرية.»

«في هذه الأيام يؤمن لنا الايطاليون الرعاية الطبية بواسطة أطبائهم، ويقدم البولنديون المياه، ونحصل على طعامنا من البلجيكيين، وعلى المولد الكهربائي والإمدادات الغذائية من القطريين.»

لكن بالرغم من هذا، لا يزال محمد قلقاً بشأن حماية الميتم في حال نشوب حرب أخرى.

أندريا تينينتي

فتيات من ميتم تبنين

عنصر من اليونيفيل يراقب الخط الازرق